تمهيد:

عرفت شخصية الأمير عبد القادر بإبداعه وجهاده ومواقفه الإنسانية الخلود في الذاكرة التاريخية والأدبية، لأن هذا هو ما تعكسه آثاره الفنية، أدبية ودينية، فله في الآثار الشعرية "الديوان"، هذا الأخير الذي حفل بأهم ما يعرف نقديا بأغراض الشعر العربي، بالإضافة إلى قصائد ومقطوعات منها شعر المناسبات المختلفة وشعر الإخوانيات في حربه وأسره، أو في غيرهما، وكذا شعره في التصوف، لكن أكثر ما يهمنا هنا من بين كل آثار الأمير عبد القادر الشعرية هو ديوانه الشعري "الديوان".

وإذا كان الأمير قد جمع بين الإمارة والفقه والجهاد والشعر والسيف والصوفية، فشعره عرف ألوانا وصورًا ترجمها كلمات صادقة نابعة من نفس متأثرة بالعقيدة إلى حد النخاع، ولعل من بين أهم المصادر التي ساهمت في تكوين الشخصية الأميرية التي يغلب عليها التصوف نجد: الشفا للقاضي عياض كتاب الإحياء للإمام الغزالي ...وغيرهما كثير من المصادر التي صقلت الموهبة وغذت الفكر، ففاضت قريحته لتقطف لنا من كل بستان زهرة، وبهذا جاء ديوان الأمير عبد القادر الشعري في طبعاته المختلفة حافلا بالأغراض الشعرية المستلهمة من قيم البطولة والعروبة وكذا الدين الإسلامي، حيث نجد اقتباس واضح من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، لذا فقد نال الأمير وبجدارة مساحة داخل الذاكرة الإنسانية وحتى الأدبية والفنية، لذا ألحت الدعوة على مواصلة العمل دوما في محاولات متواضعة حتى يتسنى لنا الحصول على معرفة وتحقيق دقيق في جمع مثل هذه الأشعار التي تحفظ لنا تاريخنا وهو بيتنا، وعديدة هي تلك التحقيقات التي تعتبر من الواجبات حينما يرتبط الأمر بواحدة من الشخصيات البارزة في الوطن الأم.

وسنتطرق في السطور المقبلة إلى أخذ صورة ترصد لنا الجانب العقائدي الذي تمثله عودة الشاعر إلى نبع البيان والبلاغة وإلى مصدر الهداية والنور، فالأمير عبد القادر اهتدى بإذن الله إلى شعاع القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف فأنارت له الرؤى هنا وهناك ليحمل

السيف والقلم معا، فكان التأثر جليٌّ واضح في هذه الشخصية الفذة، فهي فخر الأمة الجزائرية خاصة والعربية عامة، فهو حفاظ على الهوية، الأصالة، التراث الديني، وتصوير التاريخ الاستعماري في بلدنا خاصة، لكن ما سنركز عليه أكثر في ثنايا السطور هو جانب يتضح في قراءة أولية بسيطة لشعر الأمير تراوحت بين أثر القرآن في مضامين تلك الأبيات الشعرية وبين أثر الحديث النبوي الشريف كذلك.

أ- التناص مع القرآن الكريم:

يلحظ المتصفح لديوان الأمير عبد القادر بكل وضوح آليات التفاعل النصي دون الحاجة إلى التنقيب من أجل العثور على هذه الظاهرة الفنية، فهي واضحة ماثلة في الكثير من قصائده، ولعل أهم مصدر اقتبس منه الأمير عبد القادر هو القرآن الكريم، فقد كان هذا الأخير منبعًا ارتوى منه الشاعر، وهذا ما يتضح في مواقفه التي تعكس بأمانة وصدق ذلك الجانب الديني في شخصيته الفذة، وقد تجلى كل ذلك في تعامله فنيا مع آيات القرآن الكريم وبزوغ قصائد إلى الوجود على إثر ذلك التعامل والذوبان في أحضان التدبر والتفكر في سور القرآن الكريم وآياته المعجزة ببيانها وبلاغتها.

ففي قول الأمير:

بيوم قضى نحبا أخي فارتقي إلى جنان له فيها بني الرضا أوى[1]

اقتباس مستمد من قوله تعالى ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ﴾[2]

أي منهم مات أو قتل في سبيل الله، بمعنى فرغ من العمل الذي كان أوجبه لله جلّ وعلا على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد... ونجد لفظ "النحب" في كلامنا بمعنى النذر، الموت... وغيرها من المعاني الدينية.

ونجد في قول له بقصيدة "ما في البداوة من عيب":

ترابها المسك بل أنفى وجاد بها صوب الغمام بالأصال والبكر[3]

[1] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص56.
[2] - سورة الأحزاب، آية 23.
[3] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص47.

فلفظ البكر والأصال مستوحى من القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا﴾[1] ويعني لفظ أساطير: أكاذيب وإكتتبها: إنتسخها من ذلك القوم، فهي تقرأ عليه ليحفظها بكرة وأصيلا.

– وفي مساجلته "أستاذي الصوفي" يقول:

ذليل لأهل الفقر لا عن مهانه عزيز، ولا تيه لديه، ولا كبر[2]

يقصد الأمير عبد القادر بالفقر هنا؛ أهل الفقر وهم فقراء الصوفية، وهو اتصاف المؤمن بجانبي العزة والذلة، حيث استخدم كلا اللفظين في وصف مناسب، ولعل هذا ما اتصف به عليه أفضل صلاة وأكمل تسليم، وهذا البيت نجده قد تضمن معنى يعود إلى الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.[3]

ونجد في معنى ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أي أرقاء، رحماء، خاضعون فيما بين المؤمنين، أما معنى ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أي أشداء، غلاظا على الكافرين.

كما نجد في نفس القصيدة قوله:

فذلك بفضل الله يؤتيه من يشا وليس على ذي الفضل حصر ولا حجر[4]

اقتبس الشاعر هذا البيت من قوله سبحانه وتعالى ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.[5]

فالشاعر هنا يعلم أن فضل الخالق سبحانه جلّ في علاه لا يعد ولا يحصى.

هذا ونجد قوله:

فقل لملوك الأرض: أنتم وشأنكم فقسمتكم ضئزى وقسمتنا كثرى.[6]

[1] - سورة الفرقان، آية5.
[2] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص202.
[3] - سورة المائدة، آية 54.
[4] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص204.
[5] - سورة الحديد، آية 21.
[6] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص212.

وهنا اقتباس ملحوظ في قول الأمير عبد القادر "فقسمتكم ضئزى"، من قوله تعالى ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾[1] ولفظ ضيزى من الفعل "ضاز" يضيزه، أي إذا ظلمه وجار عليه، وبهذا فقسمة ضيزى بمعنى قسمة جائزة.

كما نجد في قصيدته "عذاب الأسر" يقول:

يسري ولو أن الظلام عداته ويسير، ولو كان النهار المرهفا[2]

يسري هنا فعل من المصدر الإسراء، الأمير اقتبس هذه اللفظة من قوله تعالى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾[3]

والإسراء هنا بمعنى سير الليل من المسجد الحرام، ويقال الحرم كله مسجد، وقد روي أنه كان صلى الله عليه وسلم ليلة أسري به في بيت أم هاني بنت أبي طالب إلى المسجد الأقصى "وهو بيت المقدس"، ويقال له الأقصى لأنه أبعد المساجد التي تزار ابتغاء فضل الله ورحمته.

هذا ونجد في قصيدة "آمن من حمام مكة":

لا زال تخدمه نفسي وأمدحه مستغرق الدهر أبكار وأصالا.[4]

الأبكار هنا بمعنى أوقات الصباح الباكر، أما أصالا فهي بمعنى المساء الذي يسبق مغيب الشمس.

يذكر القرآن هنا بوضوح معنى علاقة الإنسان بربّه، وهو معنى جد عظيم، مقتبس من آية الذكر الحكيم من قوله تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللّه وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[5] ومعاني الألفاظ بكرة وأصيلا بمعنى

[1] - سورة النجم، آية 22.
[2] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص151.
[3] - سورة الإسراء، آية 01.
[4] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص160.
[5] - سورة الفتح، آية 09.

الغداوة والعشي، وإذا عدنا إلى قصيدة الأمير "أستاذي الصوفي" لوجدنا تضمين آخر لمعاني القرآن الكريم، حيث يقول:

ولا غرو في هذا، وقد قال ربنا تراهم عيون ينظرون ولا بصر[1]

تضمن هذا البيت قوله سبحانه وتعالى ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاء عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ﴾[2]

لفظة تدعوهم: يعني ما كان يتخذه المشركين من الآلهة، يقول تعالى ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾ يعني: الآلهة "وينظر"، يكون من الحي الناظر ويستعمل في الموات يعفون به المقابلة، والعرب تقول: إذا نظر إليك الجبل بمكان كذا فخذ يمينا أو شمالا، وقيل عن بما تقدم ذكره المشركون لا الأصنام.[3]

هذا ونجد حضور وتصوير للمعارك في شعر الأمير عبد القادر، وكذا صورة أصحابه وهم مستعدون في انتظار العدو الغاشم، وما هذا إلا دليل على فطنه ونباهة الشاعر الفارس، فما أكثر أشعاره في ما يخص شأن الحرب والقتال والنزال، ومثال ذلك قوله في قصيدة "الباذلون أنفسهم" وهذا في حديثه ووصفه لأصحابه، فأنشد قائلا:

كم صابروا كم كابروا كم غادروا أعي أعاديهم كعصف مؤكل[4]؟

أخذ الشاعر هنا من الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾[5].

وإن دلالة هذه الآية الكريمة تصور وتنطبق على أصحاب الأمير عبد القادر في مواجهة العدو، أين القوة، الصلابة وكذا العقاب.

ويبقى الأمير مفتخرا ببسالة أصحابه أثناء المواجهة، ومدى شجاعتهم، كيف لا وهو شاعر وفارس عاش اللحظة قلبا وقالبا، وهذا موقف إن دلّ على الإقبال على الحياة فهو

[1] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص213.
[2] - سورة الأعراف، أية 198.
[3] - أبو يحي بن صمادح التيجي، مختصر تفسير القرآن الكريم، الإمام الطبري، راجعه مروان سوار، دار الفجر الإسلامي، بيروت ،ط1998،1م، ص312.
[4] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص148.
[5] - سورة الفيل، آية 05.

كذلك حفاظا على الهوية والأصالة وإن دلّ على الإقبال وعلى الشهادة فهو أحسن كذلك، وهذا تصوير ملتهب لواقع أشعل نيرانه حب الوطن، حيث يقف الأمير مفتخرا وينشد قائلا:

لا يحزنون لهالك بل عندهم موت الشهادة غبطة المتحول[1]

ومن خلال هذا البيت الشعري يتضح لنا أثر القرآن وبالضبط الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[2]

من خلال هذه الآية الكريمة تتضح غبطة وسرور أصحاب الأمير، لتوفر ذلك الإحساس بالثقة، فلا وجود للخسران في هذا الجهاد، وما هذا إلا دليل الإيمان بالله وما عنده من جزاء.

وفي بيت آخر من القصيدة نفسها يقول الشاعر:

وافتح لهم مولاي فتحا بينا واغفر وسامح يا إلهي عجِّل[3]

استوحى الأمير الشاعر هذا البيت الشعري من قوله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[4]

ونجد في معنى الآية الكريمة "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا" ، أي إنا قضينا لك بالنصر والظفر على من خالفك وناصبك من كفار قومك، وقيل يعني به فتح الحديبية، وكان الفتح المبين فيها أن بويع بيعة الرضوان، وأطعموا نخل خيبر وفرح المؤمنون بتصديق الحبيب رسول الله عليه وسلم، وبظهور الروم على فارس وعرف المؤمنون مدخلهم وما أعد عنده لهم.

وبعيدا عن الافتخار بأمجاد الأبطال نلقي الضوء على جانب ثري في حياة الأمير وهو الغزل، حيث يقول في بيت رقيق ولطيف:

فيها العذارى وفيها قد جعلني كوى مرقعات بأحدق من الجوار[5]

[1] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص144.
[2] - سورة آل عمران، آية 169.
[3] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص144.
[4] - سورة الفتح، آية 01.
[5] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص46.

الشاعر هنا يشبه عيون العذارى وهن ينظرون إلى الرجال من شقوق الستائر، وهذا البيت مشتق من الآية في قوله ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾[1]

والحوار يعني شدة بياض العفي إلى جانب شدة سوادها.

وفي بيت شعري آخر يقول الشاعر:

واسترهم برداء الحفظ يا أملي بحرمة السر بين الكاف والنون[2]

هنا إشارة واضحة للآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[3]

هذا ونجد في قصيدة "جنات دمر" الشاعر يقول:

ذات المياه الجاريات على الصفا فكأنها من ماء نهر الكوثر[4]

نلمح هنا اقتباس للفظة الكوثر من قوله تعالى ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾[5]

ويقصد الشاعر من وراء ذكره للفظة الكوثر، عذوبة المياه، وهو نهر من أنهار الجنة.

ويقول الشاعر:

وحينئذ يقلاه كل مصاحب ومن مس هذا الضر، هيهات أن يبرا[6]

يقتبس الشاعر لفظة يقلاه من القرآن، كما في قوله تعالى ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[7]

ولفظة يقلاه هي بمعنى: يجفوه ويبتعد عنه وفعله الماضي "قلوا"، والآية من سورة الضحى وهي سورة مكية عدد آياتها إحدى عشر آية، كبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت، فسن التكبير آخرها، ولفظ "ما ودعك" أي ما تركك يا محمد، ...وما قلى أي ما

[1] - سورة الرحمان، آية 72.
[2] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص127.
[3] - سورة يس، آية 82.
[4] - الأمير عبد القادر، الديوان، 186.
[5] - سورة الكوثر، أية 01.
[6] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص131.
[7] - سورة الضحى، آية 03.

أبغضك، وقد نزلت هذه السورة بعدما تأخر نزول الوحي لمدة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبدأ أذى لسان المشركين، بأن رب محمد: "ترك محمد": إن ربه ودّعه كما يقول:

ويلقى جنانا فوق فردوسها العلي وما لجنان الخلد إن عبقت نشر[1]

وظف الشاعر هنا لفظ الفردوس وهي مقتبسة من قوله سبحانه وتعالى ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2]

ولفظ الفردوس تعني بستان، "وخالدون" أي ماكثون.

هذا ونجد في قصيدة الشاعر "توسلات ودعاء" قوله:

يا ذا الجلال والإكرام، مالكنا يا حي يا مولانا فضلا وإحسانا[3]

وهذا المعنى نجده في الآية الكريمة من قوله تعالى ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[4]

وبهذا ومن خلال ما سبق التطرق إليه، فوضوح الاقتباس والتضمين القرآني في شعر الشاعر الفارس يعكس ملامح شخصية الأمير عبد القادر ويساهم في إبراز تعدد وتنوع الأغراض الشعرية التي صورت ثراء فكر الأمير كرجل دولة ودين، وبين ذا وذاك سال القلم ليشهد بطولة وشهامة الأمير وحتى صلابة سيفه، وإن التناص القرآني جاء واضحا بالاقتباس أو بالأخذ المباشر لألفاظ القرآن الكريم، لكن ما تطرقنا إليه يبقى جزء بسيط بل قطرة ماء وسط بحر أو نهر، لأن تقريبا كل أشعار الأمير نلمس فيها التأثير الواضح لآيات الذكر الحكيم على شخصية الأمير، وما شعره العذب إلا دليل واضح على عمق التأثر باللفظ والمعنى وكذا مدى تدبره لذلك وهذا جانب من جوانب توظيف التراث الإسلامي في شعر الأمير، لكن الأمر لن يكتمل ويتضح إلا إذا تطرقنا إلى جانب لا غنى عنه، وهو أحاديث

[1] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص207.
[2] - سورة المؤمنون، آية 11.
[3] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص161.
[4] - سورة الرحمان، آية 78.

النبي صلى الله عليه وسلم، ومدى أثرها في تكوين شخصية الأمير والتي بدت واضحة الأثر في الكثير من الأبيات الشعرية وهذا ما سنعالجه في السطور المقبلة إن شاء الله.

ب- التناص مع الحديث النبوي الشريف:

إن الحديث الشريف هو المصدر الثاني "بعد القرآن الكريم" من مصادر التشريع الإسلامي، وإذا أتينا إلى الشاعر الفارس الأمير عبد القادر، نجده كغيره من الشعراء الذين نهلوا من معاني الأحاديث النبوية الشريفة، فتعامله مع الحديث النبوي الشريف لا يقل أهمية عن تعامله مع آيات القرآن الكريم، وما هذا إلا دليل على ثقافته الدينية التي برزت بين ثنايا الأبيات الشعرية وكذا تنوع وتعدد الموضوعات التي تناولها الأمير في شعره والتي تجلت مباشرة لكل قارئ حتى يعتقد أن ذلك التشبع الثقافي والديني لشخصية وفكر الأمير نابع من اقتباسه لمعاني القرآن الكريم والحديث النبوي، وهذا الأخير هو ما سنركز عليه هنا.

لطالما استحضر الشعراء في نصوصهم معاني أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولعلّ هذا ما أفصح عنه شاعرنا بقوله:

يا رب أيد روح القدس ملجأنا عبد المجيد ولا تبقيه حيرانا[1]

استمد الشاعر هذا الدعاء من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت حين قال: "اللهم أيده بروح القدس"، وبهذا فكان الحديث النبوي الشريف مرجع فكري وثقافي ونفسي وحتى فني وسيتضح ذلك من خلال تلك الاقتباسات التي تضمنتها أشعار الأمير، فمثل هذا الدعاء في مثل هذا الموقف، يذكرنا ببدايات الدعوة الإسلامية، أين سن الرسول صلى الله عليه وسلم أدعية خاصة بالغزوات والمعارك لم تكن موجودة من قبل ولم يعهدها الناس في العصور التي سبقت عصر الإسلام، فكانت تنتشر هنا وهناك وتردد على أفواه المسلمين المحاربين لرفع راية الدين، وهذا ما نجده عند الأمير عبد القادر من خلال أشعاره وهذا في خضم تلك المعارك ضد المستعمر الفرنسي الغاشم وكانت تسري فكرة "إنما النصر

[1] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص162.

من عند الله" وهذا التوكل جاء بعد عزم، هذا الذي أرهب العدو وشجع الجنود، وما هذا إلا نتيجة لتشربه من نصائح وإرشاد النبي صلى الله عليه وسلم.

ولطالما اعتقد الأمير عبد القادر أن بطولته إرث هاشمي، ممثلة في الأصالة العربية والشجاعة، فهو يعتز بانتماءاته الدينية فيقول:

ونحن لنا دين ودنيا تجمعنا ولا فخر إلا ما لنا يرفع اللدى

مناقب مختارية قادرية تسامت وعباسية مجدها احتوى[1]

ويرى أن جدّه هو المرغوب بالشفاعة وأن الله قد خص بنيه وذريته بخصائص جعلت من المنتسب للدوحة النبوية مفخرة عظيمة، فيقول:

أبونا رسول الله خير الورى طرا فمن في الورى يبقى يطاولنا قدرا

ولنا غدا دينا وفرضا محتما من كل ذي لب به يأمن الغفرا

وحسبي بهذا الفخر، من كل منصب وعن رتبه تسمو وبيضاء أوصفوا[2]

وهذا كذلك فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتعليم الأولاد الفروسية وركوب الخيل، والأمير اعتقد دوما أن الفروسية هي أخلاق كريمة ومثل عليا وليست تلك الشجاعة المتهورة حيث يقول:

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظاهري فليس يريك الرسم صورتنا العظمى[3]

فثمّ وراء الرسم شخص محجّب له همة تعلو بأخمصها النجما

وما المرء بالوجه الصبيح افتخاره ولكنه بالعقل والخلق الأسمى

وإن جمعت للمرء هذى وهذه فتلك التي لا يبتغي بعدها نُعْمى

وإن اهتمام الشاعر بالجهاد وحماية الدين ويفضل المقدسة على الحج فيقول:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه فنحورنا بدمائنا تتخضب

[1] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص53.
[2] - الأمير عبد القادر، الديوان، ص45.
[3] - صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، ص55.

أو كان يتعب خيله في باطل فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا رهج السنابك والغُبار الأطيب[1]

وبهذا فشعر الأمير يبقى دوما عن الجهاد والمعارك والمؤهلات التي تضمن له النصر دوما، هذا لأن الشاعر الفارس الأمير عبد القادر قد عرف حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حين يقول" راهج بالشعر، إن المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والذي نفسي بيده كأنما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر".

وبهذا فلا بد لأي شاعر، من أن يرجع ويستعين بتراثه الذي ينتمي إليه، وليس ذلك فقط فهو فخر لكل شاعر عربي مسلم، فرغم تعدد المشارب وثقافة الأمير بيّنت أصالة الإبداع الفني لشعر الأمير فقد ارتبطت بالروافد الدينية، والحديث النبوي كان ملهمًا ففجر وأنقى القيم التي سالت حبرا بعدما كانت نفسا وخلقا.

[1] - محمد بن الأمير عبد القادر، نزهة الخاطر، ص12.

إهداء خاص

قال تعالى ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ صدق الله العظيم سورة الإسراء، آية 63.

إلى من دعيا لي ليلا ونهارا وكانا لي سندًا في هذه الحياة، العزيزان أمي وأبي.

إلى زوجي الغالي الذي مدّ لي يد العون في عملي هذا، بل في الحياة فشكرا لك يا أبو "بيان".

إلى كل إخوتي وأخواتي وكل العائلة الكبيرة والصغيرة

أهدي لكم عملي هذا.

خاتمة:

وجدنا الشاعر على ثقافة دينية، وأنه متمسك بهذه الأصول بل ومتشبع بالمعارف الإسلامية، وارتباط الشاعر في أغلب أشعاره بالنص المقدس دليل على فخره بانتمائه الحضاري، فقد تنوعت وتعددت أشكال استحضار النص القرآني وكذا نص الحديث النبوي الشريف، وهذا في محاولة لتجسيد الأفكار التي تدور في ذهن الشاعر، فتميز النص بطابع القداسة، كيف لا وهي تتداخل مع نصوص في قمة البلاغة والإعجاز، لكن تعامل الشاعر مع النص القرآني كان غزيرا مقارنة بتعامله مع أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

وبهذا التناص فقد أكسب الشاعر نصوصه الشعرية رونقا وتميّزا بل انفردت بفنيتها وشعريتها وبهذا نستنتج:

– تأصيل التراث الديني انطلاقا من ملامح التوظيف الديني.

– توظيف المضامين الدينية يحافظ على ثبات الفكر أدبيا وفنيا بعد أن تتشبع به النفوس.

– الاستفادة من أثر التراث على النفس يتضح ويظهر أثره في اللسان الشعري، وبالتالي يساهم في تعميق البحث في ديننا الحنيف.

– لقد أغنى الدين الإسلامي الفكر العربي عامة والجزائري خاصة، فكانت معالمه المتعددة منبع ومصدر إلهام الكثير من الشعراء فتنوعت طرائق وأنماط التوظيف ولا زالت في السير نحو الأفضلية شكلا ومضمونا.

وفي الأخير فإن التوجه الشعري للأمير عبد القادر إلى الإنسانية والأخلاقية، والبطولية يهدف إلى رقي الإنسان تحت ظل العقيدة الإسلامية ويجعله على صلة مباشرة مع الرونق والرقي، فبتجسيد الحاضر ومحاولة عيشه بحلوه ومرّه في ساحة المعركة، من خلال شعر الأمير، ما هو إلا حفاظ على الهوية الثقافية الجزائرية العربية والإسلامية، وكان هذا التصوير بتفاعل نصي ظاهر غير خفي مع مصدر ومنبع السحر والبيان.

شكر وعرفان

يعجز القلم عن التعبير

أتقدم بالشكر والعرفان لأستاذي بوضياف أحمد أمين، فألف شكر على توجيهاتك وإرشاداتك القيمة، التي كانت ستثمر الأفضل في هذا المجهود المتواضع، لولا الصعوبات، كما أشكر جميع أساتذة ودكاترة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة المسيلة، خاصة من الذين نهلت ودرست على أيديهم.

فألف شكر لكم جميعا.

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

مقدمة .....أ-ب

الفصل التمهيدي: الإطار المنهجي والمفاهيمي للبحث

أولا – الإطار المنهجي.....4

1- تقديم الموضوع 4

2- اشكالية البحث 4

3- الفرضيات 4

4- منهجية الدراسة 5

5- أهداف الدراسة 5

6- الدراسات السابقة 5

ثانيا – الإطار المفاهيمي 7

1-ملامح 7

2- توظيف 8

3- التراث 10

4- الإسلامي 13

5- الشعر 14

6- الجزائري 16

7- الحديث 16

8- التناص 17

ثالثا – نبذة عن حياة الأمير عبد القادر الجزائري 18

رابعا- لمحة عن ديوان الأمير عبد القادر الشعري "الديوان".....19

الفصل الأول: مكونات التراث الإسلامي وأنماط توظيفه

أولا- مكونات التراث الإسلامي.....22

1- النص القرآنـي.....22

2- نص الحديث النبوي 24

3- المعالم الإسلاميـة.....28

- الكعبة الشريفة 29

- المسجد الأقصى 29

- المسجد 30

- الزوايا 31

ثانيا- أنماط توظيف التراث الإسلامي.....32

1- اللغـة.....32

2- التناص 34

3- التمثيل 39

الفصل الثاني: تجليات التراث الإسلامي في شعر الأمير عبد القادر"الديوان"

تمهيد.....44

أ- التناص مع القرآن الكريم.....45

ب- التناص مع الحديث النبوي الشريف 51

الخاتمة 55

قائمة المصادر والمراجع

فهرس الموضوعات

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الحديث النبوي الشريف

- إبراهيم أبو الحسن، الإعجاز التطبيقي للقرآن الكريم، دار الكنوز، (د،ط)، 2008م.

- ابن الخلوف، ديوان جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تح: العربي دحو، دار هومة، الجزائر، (د،ط)، 2004م.

- ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ج1، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة، ط1، 2008م.

- أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعافات السبع، الدار العالمية، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1998.

- أحلام الفارس، ديوان الأعمال الكاملة، دار العودة، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1972م.

- أحمد حمدي، انفجارت، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م.

- أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط2، 1989م.

- أنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة مجموعة من المؤلفين، منشورات الجمل، ط1، 2006م.

- أنيس منصور، الخالدون مائة، المكتب المصري الحديث، (د،ط)، (د،ت).

- أيمن البلدي، الشعر والشاعرية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2006م.

- الحافظ أبي عمر يوسف عبد الله، أدب المجالسة وحمد اللسان، تح: سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1989م.

- العربي دحو، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري، مطبعة ثالة، ط3، 2007م.

- العنتيل فوزي، الفلكلور ما هو؟، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، (د،ط)، (د،ت).

- جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة، الجزائر، (د،ط)، (د،ت).
- جورج عبد معتوق، المتنبي شاعر الشخصيات القوية، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1981م.
- حلبي إيدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1990.
- حسني عبد الجليل يوسف، التصوير الشعري، دار العربية للنشر والتوزيع، مصر، (د،ط)، 2000م.
- حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988م.
- خالد حسين، شؤون العلامات من التشفير إلى التأويل، دار حليوني، الجادة الرئيسية، سوريا، ط1، 2008م.
- رابح لونيسي، الأمير عبد القادر فارس العقيدة والوطن، دار المعرفة، 2004م.
- مالك بن أنس، الموطأ، عالم المعرفة، الجزائر، (د،ط)، 2012م.
- محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مطبعة المعارف، مصر، (د،ط)، (د،ت).
- محمد بنيس، الحق في الشعر، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م.
- محمد الغزالي، ديوان الحياة الأولى، تح: مصطفى الشكعة، دار الشروق، القاهرة، (د،ط)، (د،ت).
- محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الشروق، القاهرة، (د،ط)، (د،ت).
- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م.

- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط2، 2006م.
- محمد فتوح، الرمز والرمزية، في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط2، 1984م.
- مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، (د،ط)، (د،ت).
- مصطفى الغماري، براءة، دار المطالب العالمية، الجزائر، ط1، 1994م.
- مصطفى الغماري، ديوان الرفض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1980م.
- نعيم الباقي، أوهاج الحداثة، (د،ط)، (د،ت).
- صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د،ط)، (د،ت).
- عباس محمود العقاد، مطلع النور، دار النهضة، الفجالة، القاهرة، (د،ط)، (د،ت).
- عمار بن زايد، النقد الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د،ط)، 1990م.
- غالي شكري، التراث والثورة، دار الطبعة، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1973م.
- قدور رحماني، أوراق حول الشعر والتصوف، البديع للنشر، الجزائر، 2009م.
- شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2001م.
- سعيد سلام، التناص التراثي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، (د،ط)، 2010م.
- صلاح عبد الصبور، الديوان، م1، دار العودة، بيروت، ط1، 1972م.
- صفي الرحمان المهار كفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، الجزائر، (د،ط)، 2010م.
- يحي بن شرف الدين النووي وآخرون، شرح الأربعين النووية، دار ابن الجوزي، القاهرة، (د،ط)، 2004.

- يوسف أحمد داوود، لغة الشعر، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، 1986.
- ناصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1999م.
- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، موسومة شرطيوة.
- علي حمادي، في قفص الاتهام، دار ابن حزم، بيروت، 1999م.
- محمد خير الشعال، الحديث الميسر، دار البلاغ، الجزائر، ط3، 2002م.
- نورالدين عتر، النفحات العطرية في سورة خير البرية، دار البلاغ، الجزائر، (د،ط)، 2001م.
- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج1، الكتبة العصرية، صيدا، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، (1931- 1956)، الجزائر، ط2، 1981م.
- فايز الداية، جماليات الأسلوب دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، (د،ط)، (د،ت).
- عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري، دار العربية للنشر والتوزيع، مصر، (د،ط)، 2000م.

ب- المعاجم:

- أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكرياء، تح: شهاب الدين، معجم المقاييس في اللغة، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت.
- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، م2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2، 1962.
- رضا أحمد معجم متن اللغة، دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، 1990.

- كامل المهندس وآخرون، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2، 1972.

ج- المجلات:

- مجلة الإسلام والشعر، عالم المعرفة، ع66، 1999م، الكويت.
- مجلة دبي الثقافية، مآذن وأبراج، سبتمبر 2013م، دبي.
- مجلة الوحدة، من قضايا الشعر المعاصر، التناص مع الشعر، ع82-83، 1991م، الأردن.
- مجلة الدراما الإسلامية، الظاهرة الإعجازية في القرآن الكريم، ع6، 2004م، الجزائر.
- مجلة المسألة، التراث والتاريخ في الكتابة الروائية، 1961م.
- مجلة عالم الفكر، الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة، 1988م.
- مجلة فصول، الشعر الصوفي المعاصر، ع1962.
- مجلة آفاق الثقافة والتراث، ضوابط فهم السنة النبوية، ع4، 2000م.
- مجلة الموقف الأدبي، اقتحام الذات عالم آخر، ع55، دمشق، 2001م.

المواقع الإلكترونية:

- www. Bahethe. Info.

مقدمة:

لطالما مثل التراث ذاكرة الشعوب وأصالته، خاصة التراث الإسلامي، وذلك لأنه يضم أقدس نص عرفه الوجود ويبقى خالدًا في الذاكرة الإنسانية بكل جوانبها الفنية، الدينية، الفكرية وحتى التاريخية، هذا إضافة إلى نص الحديث النبوي الشريف الذي يشرف هو الآخر بلاغة وفصاحة وبيان، وفي ضوء التحول والتغيّر الذي تضفيه العناصر التراثية الدينية داخل النص الأدبي، برزت للوجود الفكري نصوص يشهد التاريخ بعذوبتها ورونقها، أسلوبا ولفظا وكذا مبنى ومعنى، كما أن النصوص الأدبية اكتسبت الحياة من خلال محاولات البعث والإحياء التي تمثلها التفاعلات النصية التي أغنت الحاضر الأدبي بمختلف الأشكال والمضامين، وفي محاولة بسيطة سنتطرق إلى ذكر بعض الملامح الدينية التي تبدوا في أشعار شعرائنا المحدثين، ومنهم الأمير عبد القادر حيث ارتقت نفسه البشرية ليكون الفارس الشاعر والأديب المتصوّف... هو واحد من الذين أوجب علينا الزمن الأدبي والتاريخي والديني أن نعالج بتواضع دلائل تأثره بالدين الإسلامي ونصوصه المقدسة وهو شاعرنا الأمير عبد القادر.

ولوضوح طبيعة سير بحثنا المتواضع، حول ملامح توظيف التراث الإسلامي في الشعر الجزائري، تحديدا عند الأمير عبد القادر، من خلال ديوانه الشعري "الديوان"، اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

تطرقنا في الفصل التمهيدي إلى الإطار المنهجي والمفاهيمي للبحث، وهذا يخص طرح بسيط عن الموضوع ويحتوي إشكالية عامة وإشكاليات فرعية وكذا طرح فرضيات لها، مع التطرق لمنهجية الدراسة والدراسات التي سبق وأن تناولت موضوع دراستنا، رغم أن الجديد والاختلاف وارد باعتبار أن الاستفادة هي الأخرى مكملة للإتيان بجديد في أي محاولة من محاولات البحث وذلك قصد الحفاظ على التراث الديني بمحاولة التطرق وذكر بعض ملامح

التوظيف الديني في الشعر أو في القصيدة الأميرية، كما قدمنا نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وكذا لمحة عن ديوانه الشعري "الديوان".

أما في الفصل الأول فقد تعرضنا إلى مكونات التراث الإسلامي وأنماط توظيفه؛ فقد حاولنا إبراز عناصر التراث الإسلامي وهما النص القرآني ونص الحديث النبوي الشريف وكذا المعالم الإسلامية، كالكعبة، المسجد الأقصى...، ثم حاولنا إبراز أنماط توظيف التراث الإسلامي في أشعار متفرقة من هنا وهناك من خلال اللغة، التناص، والتمثيل.

ثم أردفنا بحثنا بخاتمة ضمنّاها أهم النتائج المتوصل إليها، فهي خلاصة بسيطة لما استنتجناه.

وقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع التي احتضنت قصدنا من البحث، ومن هذا المنطلق حاولنا الاستفادة من جهود الكثير من الدارسين، خاصة لبعض الدراسات التي سعت في جوانب مختلفة إلى محاولة الإحاطة بمدى أثر وتأثير النصوص المقدمة على النصوص الأدبية.

ومن المشاكل والصعوبات التي واجهتنا في مسار بحثنا:

- تشعب المادة الشعرية وكذا الصعوبة التي ترافق بداية أي عمل وفي أي شأن ومجال.
- صعوبة إيجاد المراجع الأصلية.
- عدم توفر الوقت الكافي.
- وصعوبات أخرى جمة، لكن بالرغم من هذه الصعوبات في هذا المجال، لكننا بفضل الله وعونه حاولنا بجد التقصي من أجل الوصول إلى نتائج إيجابية لبحثنا، وهذا ما كان إلا بعون الله ومساعدة الأستاذ المشرف الذي ما بخل بالتوجيه والإرشاد، هذا والكمال لله سبحانه وتعالى.

الملخص:

إن علاقة الشعر العربي الحديث بالتراث قوية جدا، خاصة التراث الإسلامي، فهي تمثل ظاهرة بارزة ومهمة، فلا مناص لأي شاعر كان من أن يتشرب من فيض التراث الإسلامي، وبهذا جاء الشعر متنوع تنوع أشكال التراث الديني وكذا تعدد أنماط توظيفه بين ثنايا معاني الأبيات الشعرية، والتي تعبق بروح العقيدة الإسلامية، لذا أكثر المبدعين أصالة وتفننا هو من كان في شعره ارتباط بالروافد الدينية.

ويعد الأمير عبد القادر الشاعر والفارس المثالي لأنه لعب عدة ادوار في نفس الوقت حيث اجتمعت فيه المواقف الإنسانية التي تصنع شخصية الأمير الشاعر المبدع والفارس الفذ، فتجربة الأمير الشعرية كشفت عن تنويعات في رؤى تؤطرها رؤية مركزية واحدة هي الرؤية العقائدية.

وبهذا فقد تمظهر على مستوى الموضوعات الشعرية الأميرية ممارسته التناص بشكل واع بمعنى اتضحت لنا رؤيته الإنسانية.

résument :

La relation Alhararab patrimoine moderne est très forte , en particulier l'héritage islamique , ils représentent un phénomène significatif et important , il est inévitable pour tout poète était l'imprégnation de l'iceberg du patrimoine islamique , et cela s'est cheveux une grande diversité de formes de patrimoine religieux et Kmataddonamat utilisés entre les plis des versets de sens de la poésie , qui empile esprit la foi islamique , l'originalité ainsi plus créative et est plus lisse que il était dans ses cheveux Balruad association religieuse .

Le poète idéal prince Abdul Kader Faris et il a joué pour plusieurs Eduarfa le même temps , où elle a rencontré les situations humanitaires qui fabrique poète personnelle Prince et créative Chevalier exploit, Fathrbh prince Aalcharih révélé des variations dans des visions régies par une vision centrale unique est idéologique .
La manifestation de cette était au niveau des thèmes poétiques Amireya exercice intertextualité consciemment devenu sens clair de l'humanité nous voir .

الفصل الأول

مكونات التراث الإسلامي وأنماط توظيفه

أولا- مكونات التراث الإسلامي:

1- النص القرآنـي

2- نص الحديث النبوي

3- المعالم الإسلامية

- الكعبة

- المسجد الأقصى

- المسجد

- الزوايا

ثانيا- أنماط توظيف التراث الإسلامي:

1- اللغة

2- التناص

3- التمثيل

الفصل التمهيدي

الإطار المنهجي و المفاهيمي للبحث

أولا – الإطار المنهجي

ثانيا – الإطار المفاهيمي

ثالثا – نبذة عن حياة الأمير عبد القادر الجزائري

رابعا– لمحة عن ديوان الأمير عبد القادر الشعري "الديوان"

الفصل الثاني

تجليات التراث الإسلامي في شعر الأمير عبد القادر"الديوان"

تمهيد

أ- التناص مع القرآن الكريم

ب- التناص مع الحديث النبوي الشريف

جامعة المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

طور الماستر

العنوان:

ملامح توظيف التراث الإسلامي في الشعر الجزائري

شعر الأمير عبد القادر - أنموذجـــــا- الديوان

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص: أدب جزائري

إعـداد الطالبة:

- العمرية حفاف .

إشراف الأستـاذ:

– أحمد أمين بوضياف

السنة الجامعية:2013- 2014

أولا- مكونات التراث الإسلامي:

اعتمد الشعراء، على التراث الديني، واعتبروه مصدرا يأتي في المقدمة ينهلون ويقتبسون منه، ذلك لأنه حوى أقدس كتاب باعتباره المصدر الأول في التشريع الإسلامي فهو إعجاز في منتهى البلاغة، هذا إضافة إلى أحاديث السنة النبوية التي منها القولية، الفعلية والتقريرية، وهي موافقة لأحكام القرآن الكريم ومفصلة لمجمله ولأنها كذلك فقد تميزت بعبق البلاغة، الذي أعجز البلغاء بسحر البيان، حتى أن معالم الدين الإسلامي التي عكست جماله، تعتبر مرجع انطلق منه الكثير من المعترفين بسمو الدين الإسلامي، وهذا ما سنوضحه مع:

1- النص القرآني:

لفظ القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾[1]، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسما للكلام المنزل المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، ويقال له أيضا "الفرقان" في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً﴾[2]، فالقرآن كلام معجز مكتوب ففي المصاحف، منقول بالتواتر المتعبد بتلاوته وبكلماته الحكمية الأزلية المترتب في غير تعاقب من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس.[3]

فالنص القرآني محكم السرد دقيق السبك متين الأسلوب قوي الاتصال بين ألفاظه ومعانيه، ففي سوره وآياته تتضح سمات الإعجاز فيه كله من بدايته حتى نهايته كأنه سبيكة واحدة ، ولا نجد بين أجزائه وأحزابه تفكك، بل كأنه حلقة واحدة تشنف لها الأذان فتخشع لها الجوارح الباقية وتلين لها رغما عنها، فقد نظمت حروفه وكلماته ونسقت جمله وآياته ورتبت بحكمة لا يعلمها إلا الله تعالى، فبالرغم من أنه نزل مفرقا ولكنه تم مترابطا محكما، ولم

[1] -سورة القيامة، آية: 17-18.
[2] -سورة الفرقان، آية : 1.
[3] -محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، موسوعة شرطيوه، ص14.

يتكامل نزوله إلا بعد عشرين عاما، و لكنه سبحان خالقه فقد ظل على تكامله، لهذا تنوعت وتعددت الآراء والرؤى في محاولة إعطاء تفسير لطبيعة هذا النص المعجز ومن بينها ما جاء في مقدمة كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" للإمام احمد بن حنبل- رحمه الله -:"جاءنا – يعني النبي صلى الله عليه وسلم – بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، جمع فيه علم الأولين وأكمل به الفرائض والدين، فهو صراط الله المستقيم، وحبله المتين، من تمسك به نجا ومن خالفه ضل وغوى وفي الجهل تردى ..."، ويقول الأستاذ ديزيريه بلانشية من فرنسا وهو مؤلف كتاب "الدراسات الإسلامية:"حسب هذا الكتاب –أي القرآن الكريم- جلالا ومجدا أن الأربعة عشر سنة قرنا التي مرت به لم تجفف شيئا من أسلوبه، بل بقي غضا كان عهده بالحياة أمس"، ويقول ابن القيم الجوزية لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ولا تروي غليلا ورأيت أقرب الطرق طرق القرآن، فمن جرب تجربتي عرف مثل معرفتي حيث يقول [1]:

نهاية إقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال

وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

فالقرآن الكريم هو معجزة بيانية خالدة في اللغة العربية ومثل عالي وشريف، فيجب أن يتصل به كل من يريد معرفة حقيقية للغة من حيث معناها ومبناها، فقد أعيا العرب وهم أصحاب القول والكلمة العربية الأصيلة أن يأتوا بسورة من مثله، وقال الوليد بن المغيرة "إني سمعت كلاما من محمد لاهو بكلام الإنس ولا هو بكلام الجن وأن له لحلاوة وعليه لطلاوة، وان أسفله لمحذق وان أعلاه لمثمر"[2]، ولأنه إعجاز فإن البحث في ثناياه متواصل، وما علينا

[1] -شمس الدين أبي عبد الله بن القيم الجوزية، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد – القاهرة، ط1، 2001م، ص40.

[2] -مجموعة من المؤلفين، الظاهرة الإعجازية في القرآن الكريم، مجلة الدراما الإسلامية الجزائر، ع6، ديسمبر2004، ص7.

إلا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: << أبشروا فان هذا القرآن طرفه بيد الله وطرفه الأخر بأيديكم فتمسكوا به فإنكم لن تهلكوا ولن تظلوا بعده أبدا>>.[1]

2 – الحديث النبوي:

هو القول المأثور عن الأنبياء والرسل، وقد اختص به القول الذي اثر عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأصبح الحديث علما من العلوم الدينية التي تدرسها المعاهد الإسلامية وأقسام الإستشراق في الجامعات الأجنبية[2]، هذا ويأتي الحديث النبوي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم من "حيث إشراق العبارة وفصاحة اللفظ "[3]، هذا من جهة ومن جهة أخرى يبقى مرتبطا بالقرآن الكريم من حيث أنه متمم ومكمل لشرائعه ومفصل ومحدد لبعض آياته، فمن المعلوم أن كثيرا من أمور الشريعة العلمية والعملية جاء بيانها بالسنة، ويكون بيانها بالسنة، وحث الله في كتابه على التمسك بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فنجد قوله تعالى : ﴿ما أَفَاء اللَّـهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّـهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاء مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّـهَ إِنَّ اللَّـهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4]. هذا لأن سنة نبينا عليه أفضل صلاة وسلام في هديها كمثل الغيث النافع، الذي أينما وقع نفع، فهي المصدر الثاني من صادر التشريع وتكون بذلك المرجع في فهم القرآن الكريم .

وقد أولاها المسلمون العناية الكافية على مر العصور جمعا وتدوينا وبيانا وشرحا فاستخلصوا منها الأحكام الفقهية والآداب النفسية والاجتماعية والقواعد الاقتصادية والسياسية وغيرها من الكنوز والفوائد،[5] التي لا تعد ولا تحصى، وكان الإمام مالك أثبت الأئمة في حديث المدنيين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوثقهم إسنادا وقد ألف كتابه

---

[1] -رواه الطبراني، ينظر:رياض بن سفيان النووي، الدعاء من الكتاب والحديث، دراية – الجزائر، 2003، ص40.
[2] - كامل المهندس واخرون، معجم مصطلح، ص145.
[3] -حسان فلاح أوغلي، إقحام الذات عالم آخر، مجلة الموقف الأدبي، ع55، دمشق، 2001، ص3-8.
[4] -سورة الحشر، آية7.
[5] -محمد الغزالي، ضوابط فهم السنة النبوية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، مجلة أفاق الثقافة والتراث، ع4، 200، ص6.

"الموطأ"وتوخى فيه أيراد القوي من أقوال الصحابة وفتاوى التابعين وبوبه على أبواب الفقه فأحسن ترتيبه وأجاد تبويبه، وعد الكتاب ثمرة جهد الإمام مالك أربعين عاما، وهو أول كتاب في الحديث والفقه ظهر في الإسلام، وافقه علي مافيه سبعون عالما من معاصريه من علماء الحجاز، ولا يزال المسلمون يتتلمذون ويتربون عليه [1]، هذا وقد جمع الإمام النووي أربعون حديثا ومع كل حديث قاعدة عظيمة من قواعد الدين، وقد وصفه العلماء بأن مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك وهي صحيحة معظمها في صحيحي البخاري ومسلم [2]، كما نجد جمع لسبعمائة حديث من صحيح البخاري، وقسمت إلى أحاديث قوليه وأخرى فعلية ورتبت الأحاديث في كل قسم ترتيبا ألفبائيا لتسهيل الحفظ[3]. وقال الشافعي رحمه الله:"إذا رأيت رجلا من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم جزآهم الله خيراحفظوا لنا الأصل، فلهم علينا الفضل"، ولعل هذه الأبيات الشعرية شاهدة علي رأيه حيث يقول:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة إلا الحديث وعلم الفقه في الدين

العلم ما كان فيه قال حدثنا ومما سوى ذلك وسواس الشياطين.[4]

3- الغزوات والأمجاد الإسلامية:

بعد أن استقر القرار بالنبي عليه الصلاة والسلام، وذلك بعد الجهر بالدعوة وتحمل الشدائد من أذى وبلاء المشركين على المسلمين في بداية الدعوة وعرض الإسلام على الأفراد والمجتمعات، ثم حادثة الإسراء و المعراج، حيث أسرى به الله تعالى من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وعرج به إلى السموات العلا، فأدناه وناجاه وكلمه وفرض عليه فريضة الصلاة، فكان هذا تكريما له صلى الله عليه وسلم، هذا بالإضافة إلى بيعة العقبة أين عرض نفسه عليه أزكى صلاة وأطيب سلام على القبائل ،وكان هذا في السنة الثانية عشر

[1] -علي الحمادي، في قفص الاتهام، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1999، ص40-41.
[2] - يحي بن شرف الدين النووي واخرون ، شرح الأربعين النووية، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 2004، ص10.
[3] -محمد خير الشعال، الحديث الميسر "سبعمائة حديث من صحيح البخاري"، دار البلاغ، الجزائر، ط1، 2002، ص6.
[4] -أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ديوان الإمام الشافعي، دار االبلاغ، المحمدية، اللجزائر، ط1، 2002، ص142-143.

أين بويع بيعة العقبة الأولى، وفي العام القادم كانت بيعة العقبة الثانية، فجاء أمر الهجرة إلى المدينة أين استقبله الأنصار صلى الله عليه وسلم الأنصار بأناشيد السرور:

طلع البدر علينا من ثانيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع .[1]

ومن هنا بدأ بناء المجتمع، فقد كانت الهجرة فرقانا بين الحق والباطل، والضعف والقوة، مكنت النبي صلى الله عليه وسلم أن ينشر دين الله، ويقيم بناء المجتمع على هداية الله، أقام النبي صلى الله عليه وسلم مجتمع المسلمين، على ركن التآخي في الدين، آخى بين الأنصار والمهاجرين، وعاقد النبي صلى الله عليه وسلم اليهود وعاهدهم على المودة للمسلمين وحسن جوارهم، فكمل بنيان الفرد و المجتمع والدولة وفق الأحكام الشرعية، واستتب الأمن وبعد هذا البناء توجه الرسول عليه صلاة الله وسلامه إلى مواجهة أعدائه الكفار، "حيث قاد بنفسه الغزوات وهي خمسا وعشرين غزوة، وأرسل أكثر من خمسين سرية بقيادة قواده، واشتهر من المعارك؛بدر، أحد الخندق، قريظة، خيبر، مؤتة، فتح مكة، حنين، تبوك... "[2]، والناظر في أوضاع وخلفيات وأثار الحروب الإسلامية يعرف حقيقة "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أكثر من قائد عسكري وانه صاحب عبقرية فذة، فهو سيد الرسل وأعظمهم في صفة النبوة والرسالة "[3] فقد استطاع بهذه الغزوات فرض الآمن وبسط السلام هذا من جهة ومن جهة أخرى كسر شوكة الأعداء في صراع الإسلام والوثنية، وبهذا فقد انشأ طائفة كبيرة من القواد الذين واجهوا بعده الكفار، ففاقوهم في تخطيط الحروب وإدارة القتال، كما غير أغراض الحروب التي كانت تقوم الحروب لأجلها في الجاهلية، فمن سلب ونهب وثأر وتدمير....إلى غايات محمودة، سامية وإنسانية، فقد صار الحرب جهادا لتطهير

[1] -نور الدين عتر، النفحات العطرية في سيرة خير البرية"صلى الله عليه وسلم"، دار البلاغ، الجزائر، ب ط، 2002، ص16.
[2] - نور الدين عتر، النفحات العطرية في سيرة خير البرية"صلى الله عليه وسلم"، ص18.
[3] -صفي الرحمان المبار كفوري، الرحيق المختوم، دار الكتاب الحديث، دراية، الجزائر، ب ط، 2010، ص379.

الأرض من الغدر والخيانة إلى بسط السلامة والرحمة، وهذا كان بقواعد شريفة سار عليها القواد المسلمين، فقد روى سليمان بن يزيد عن أبيه قال:<< كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله عز وجل، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال أغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا فلا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا ...وكان يأمر بالتيسير ويقول:يسروا ولا تعسروا واسكنوا ولا تنفروا....>>،[1] وعن شهاب عن كعب بن مالك – عبد قال:حسبت انه قال:عبد الرحمن بن كعب – انه قال:نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قتلوا ابن الحقيق عن قتل النساء والولدان، فكان رجل منهم يقول:برحت بنا امرأة ابن الحقيق بالصياح، فأرفع السيف عليها، ثم أذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكف ولولا ذلك استرحنا منها >>[2].

وبهذا فالفتوحات الإسلامية كانت بالعمل الشرعي الذي لا يخشى صاحبه في الله لومة لائم، فقد ظل صلى الله عليه وسلم يحمل على عاتقه الأمانة الكبرى لتحرير الضمير البشري من أوهام الجاهلية، وكان هذا في معارك متلاحقة ضد أعداء الله، فنجحت بعون الله الدعوة الإسلامية وأخذ الجو يرتج بأصوات التوحيد بعد دعوة الصلح ودعوة العظماء والملوك مثل :"كسرى الفرس، هرقل الروم، النجاشي بالحبشة، ..."[3]وغيرهم من الملوك يدعوهم للإسلام، ثم بدأت الوفود التي مبايعته عليه الصلاة والسلام على الإسلام، ولعل أبسط مثال على ذلك قدوم كعب بن زهير الذي كان يهجو الرسول، لكنه تاب وأنشد قصيدته التي يعتذر فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمدحه قائلا:

نبئت أن رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مأمول

مهلا هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيه مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم و لم أذنب ولو كثرت في الأقاويل

[1] -مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، دط، دت، ص82-83.
[2] -مالك بن أنس، الموطأ، عالم المعرفة، الجزائر، ب ط، 2012، ص219.
[3] -نور الدين عتر، النفحات العطرية في سيرة خير البرية، ص19.

لقد أقوم مقامـا لو يقوم بـه أرى وأسمع ما لو سمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون لـه من الرسول بإذن الله تنويل.

هذا ما شهد به العرب والغرب حيث يقول الأديب والكاتب الروسي الكبير"تولوستوي: "لا ريب أن هذا النبي من كبار الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة ويكفيه فخرا أنه هدى امة برمتها إلى نور الحق وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء وتقديم الضحايا ويكفيه فخرا أنه فتح طريق الرقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة وحكمة وعلما ورجل مثله جدير بالاحترام والإجلال" [1]، فالرسول عليه صلوات الله عليه وسلامه هو الإنسان الوحيد الذي تميز بصفات الحضارة الحقيقية التي لا تموت ذاك لأنها خادمة للدين والدنيا، "فبعد أربعة عشر قرنا من وفاته لكن أثره لايزال قويا متجددا ".[2]

4-المعالم الإسلامية:

تعتبر معالم الدين الإسلامي ملجأ ومأمن على الأرض، لدعوة الأنبياء والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه، وهي تنتشر في كل أرجاء الدنيا كالمساجد مثلا، وسنتطرق هنا إلى أهم المعالم الدينية التي كانت ولا تزال مصدر إلهام للكثير من الشعراء والأدباء وهي:

-الكعبة الشريفة:

هي أشبه بغرفة كبيرة مشيدة من أحجار قوية يعتمد سقفها من الداخل على أعمدة من الخشب الثمين، وأول من قام ببنائها هو أبو الأنبياء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام والغرض من بنائها أن تكون معبدا لله ومسجدا يذكر فيه اسمه، وألهم الله تعالى إبراهيم أن يبني هذا البيت ليكون أساسا للتوحيد وركنا ومثابة للناس وأمنا [3]، وهي القبلة لكل صلاة،

[1] -إبراهيم أبو الحسن، الإعجاز التطبيقي للقرآن الكريم، دار الكنوز، دط، 2008، ص133.
[2] -أنيس منصور، الخالدون مائة أعظمهم محمد"عليه الصلاة والسلام"، المكتب المصري الحديث، د ط، د ت، ص13.
[3] -محمد الغزالي، فقه السيرة، دار الشروق، القاهرة، دط د ت، ص62،

وهاهي اليوم عامرة على الدوام تستقبل ضيوف الرحمان، عن أبي ذر الغفار سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال:<<المسجد الحرام قلت:ثم أي؟قال : المسجد الأقصى قلت:كم بينهما؟قال:أربعون عاما ثم الأرض لك مسجد فحيث ما أدركت الصلاة فصل فان الفضل فيه>> [1]، وجاء في الأغاني أن زيد ابن عمر ابن نفيل كان يستقبل الكعبة في صلاته وهو يقول:

لبيك حقا حقا تعبدا ورقا

عذت بمن عاذ به إبراهيم مستقبلا الكعبة وهو قائم

يقول إني لك عان راغم مهما تجشمني فا ني جاشم.[2]

فالكعبة هي خاتمة المطاف يقصدها الحجيج في مواسم معلومة وهي بيت الله والبيت الحرام.

- المسجد الأقصى:

بعد أن شهدت القدس زيارة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى لقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾[3]، وفي هذا الشأن يقول ابن القيم الجوزية: "أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، بجسده على الصحيح، من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبا على البراق، صحبة جبريل عليه السلام، فنزل هناك وصلى بالأنبياء إماما، وربط البراق بحلقة باب المسجد..."، وهناك حقائق تتنوع وتتعدد تتفجر من ينابيع هذه الرحلة المباركة كأن يعرف المسلم قواعد ومعالم الحضارة الإسلامية، وغيرها من الكنوز التي تعبق بها سيرة رسولنا صلى الله وعليه وسلم، فأ صبحت القدس ثالث أقدس الأماكن عند المسلمين بعد مكة المكرمة والمسجد

[1] -حديث صحيح، أخرجه البخاري ومسلم وبعض الأئمة من حديث أبى ذر، ينظر محمد الغزالي، نفسه، ص63،
[2] -عباس محمود العقاد، مطلع النور أو طوالع البعثة المحمدية، دار نهضة، الفجالة، القاهرة، دط، دت، ص137.
[3] -سورة الإسراء، آية1.

النبوي، وهو ثاني مسجد وضع في الأرض بعد المسجد الحرام ولابن حجر العسقلاني شعر كثير في رحلاته وخاصة واحدة منها إلى المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال ومنها "بيت المقدس"، فقد وصف رحلته من نابلس إلى بيت المقدس ويقول:

إلى البيت المقدس حيث أرجوا جنان الخلد نزلا من كريم

قطعنا في مسافته عقابا وما بعد العقاب سوى النعيم.[1]

- المسجد:

لقد عرف المجتمع العربي القديم عددا من المجالس والدور كدار الندوة، وشهدت أسواق العرب الشهيرة كسوق عكاظ وذي المجاز عددا من مجالس الأدب والعلم ومساجلات الشعراء والأدباء كما تروي المصادر القديمة، وحينما جاء الإسلام كانت تلك هي صورة مجالس العرب فوجه النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى المساجد ليعقدوا فيها مجالسهم ونهى عن الجلوس في الأسواق والطرقات[2]، وقد بادر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بناء المسجد لتظهر فيه شعائر الإسلام التي لطالما حوربت، ولتقام فيه الصلوات التي تربط المرء برب العالمين وتنقي القلب من أدران الأرض وتطهره من مشاق الحياة، والمروى أن النبي صلى الله عليه وسلم "بنى مسجده الجامع حيث بركت ناقته، وجعل طوله مما يلي القبلة إلى المؤخرة مائة ذراع والجانبان مثل ذلك تقريبا، وجعلت عضدتاه من الحجارة، وحفر الأساس ثلاثة أذرع ثم بني باللبن"، واشترك الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه في حمل اللبنات والأحجار على كواهلهم، وكانوا يروحون عن أنفسهم عناء الحمل والنقل والبناء بقولهم :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة .[3]

[1] -محمد الغزالي الحياة الأولى، تحقيق:مصطفى الشكعة، دار الشروق، القاهرة، د ط، دت، ص19.
[2] -الحافظ أبي عمر يوسف عبد الله، أدب المجالسة وحمد اللسان، تحقيق:سمير حلبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، 1989م، ص4-5.
[3] -محمد الغزالي، فقه السيرة، ص132.

وتم المسجد بعون الله في حدود البساطة فراشه الرمال والحصباء وسقفه الجريد وأعمدته الجذ وع، فكان بناء متواضع وبسيط لكنه نقى النفس البشرية، فالمسجد في المجتمع الإسلامي مكان عبادة ومدرسة للعلم ....، وبهذا فهو ليس بناء ولا مكان كغيره من البناء والمكان، بل هو تطهير للعالم الذي هو بين أحضانه، لأن في الحياة عداوة، إساءة، قهر، ظلم...وهذه كلها يمحوها المسجد، فهو يجمع الناس في كل يوم على سلامة الصدر وبراءة القلب ونظافة الباطن والظاهر، وهذا شعار الطهر الذي يسمى " الوضوء "فكأنما يغسل الإنسان أثار الدنيا عن أعضائه قبل دخول المسجد، "فالمسجد هو في حقيقته موضع الفكرة الواحدة الطاهرة المصححة لكل ما يزيغ به الاجتماع، فهو فكر واحد لكل الرؤوس ومن تم هو حل واحد لكل المشاكل، ذلك لأنه منه بين الوقت والوقت من النهار والليل تدوي كلمة الله أكبر فيجيب الناس الله أكبر، فلا تضطربوا هذا هو النظام، لا تنحرفوا هذا هو المنهج لا تتراجعوا هذا هو النداء، لن يكبر عليكم شيء مادامت كلمتكم: "الله أكبر".[1]

- الزوايـا:

هي مراكز مشايخ الطرق الصوفية في الجزائر والمغرب الإسلامي بصفة عامة، ويعتبر التعليم العربي الديني إحدى وظائفها الأساسية، إلى جانب العبادات والأذكار الصوفية [2].

والتصوف يوصف بأنه أكبر تيار روحي، أو هو إدراك للحقيقة المطلقة، لذا يكون تعبير المتصوفة يتسم بالغرابة في كثير من الأحيان، وفي أحيانا أخرى يكون حلوا، لطيفا ورقيقا، ذلك لأنهم تخلصوا من هموم الدنيا وزهدوا وأدركوا أن أنواع البلاء الذي يصيبهم إنما هو اختبار ثم طهارة لأنفسهم وأجسادهم "وسجود الجسد عندهم هو اقتراب الروح"[3]وهذا نجده في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾.[4]

---

[1] -مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت - لبنان، دط، دت، ص306.
[2] -تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، "1931-1956"، الجزائر، ط2، 1981، ص10،
[3] -آنا ماري شميل، الأبعاد الصوفية في الإسلام وتاريخ التصوف، ترجمة :مجموعة من المؤلفين، منشورات الجمل، ط1، 2006، ص176.
[4] -سورة العلق، آية:19.

ثانيا- أنماط توظيف التراث الإسلامي:

تعددت أساليب وألوان توظيف تراثنا الإسلامي بتعدد التصورات التي ألهم بها الأدباء عامة والشعراء خاصة، وهي دليل على توسع التخييل وصفاء القريحة بتأثير الدين الإسلامي على مختلف الأصعدة لذا سنتناول طرائق وأنماط توظيف التراث الديني في الشعر من حيث:

- **اللغة:** نلمح بكل وضوح تأثير مكونات التراث الإسلامي في اللغة العربية، وهذا ما يتمظهر في كثير من الإبداعات التي تعكس وتصور مدى ذلك التأثير شكلا ومضمونا خاصة بالنسبة للشعر، فقد برز التغيير على مستوى الألفاظ والأسلوب هذا الأخير الذي كان بمثابة امتداد للشعر الجاهلي، لكن مع الإسلام فتحت أفاقا جديدة لم يعرفوها من قبل كالخيال أو الألفاظ والتراكيب والمعاني ، حيث كان الشعراء يغترفون من القرآن الكريم والحديث نصا أو روحا، فنجد من الأساليب الشعرية أسلوب" القسم "، حيث استعان الشعراء بألوان القسم الجديدة التي وردت في القرآن الكريم كالذي نجده في شعر" الهزلي":

أما والذي أبكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر [1]:

نجد الشاعر هنا متأثرا بقوله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى{43} وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾.[2]

كما نجد الدعاء "من بين ميزات الشعر الإسلامي فكان في ضروب متنوعة و مختلفة، منها توحيد الله والثناء عليه كقول "ابن الجموح الأنصاري" :

أتوب إلى الله سبحانه واستغفر الله من ناره

واثني عليه بآلائه بإعلان قلبي وأسراره.[3]

هذا وقد شغف الشعراء بأسلوب "القصص القرآني"، حيث أدخلوها في شعرهم وهم يعالجون قضايا مجتمعهم الجديد، وقد وجد الشعراء فيها المصدر في توسيع بوتقة خيالهم،

[1] -اسامي مكي العاني، الإسلام والشعر، ص174.
[2] -سورة النجم، آية43-44.
[3] - سامي مكي العاني الإسلام والشعر، ص.177

وغيرها من الأساليب الكثيرة لتي تدل على أثر التراث الإسلامي على اللغة، أما من حيث بناء القصيدة فقد تحررت من الالتزام بكثير من تقاليد الجاهلية كمخاطبة الاثنين (وهذا راجع لطبيعة حياتهم المحتاجة إلى الأصحاب والرفاق)، كما تحرروا من الحديث عن تجربة الناقة والجمل والصحراء والرحلة، وقد تحرروا من المقدمة الغزلية أو الطللية واستبدلوها بمقدمات دينية جديدة مثل ما نجده في دواوين شعراء تلك المرحلة، أما من ناحية الألفاظ فقد حفلت الأشعار بالألفاظ الجديدة والمصطلحات الإسلامية والتي اكتسبت معاني جديدة كالإيمان، الكفر، القرآن النبوة، الرسالة، الجنة، النار، التقوى، الجهاد، المسجد، الصلاة، الزكاة الحلال، الحرام...

فنجد التكرار وهو سمة بارزة من سمات الشعر الإسلامي وهو من أجل التقرير والتأكيد وهذا دليل التأثر بالأسلوب القرآني مثل ما نجده عند "حسان بن ثابت":

فبوركت مولودا وبوركت ناشئا وبوركت عند الشيب إذ أنت اشبب

وبورك قبر أنت فيــه وبوركت به وله أهل لذلك يثرب[1] .

وقد تكررت كلمة بوركت خمس مرات في هذين البيتين، وحتى من ناحية معاني الألفاظ فقد فاضت الأشعار بالمعاني الجديدة ونجدها في مشاهد مختلفة لدى الشعراء مثل قول "الحطيئة":

ولست أرى السعادة ذخر المال ولكن التقي هو السعيد

وتقوى الله خير الزاد ذخرا وعند الله للأتقى مزيد [2].

فلم يعد السعيد هو الغني ولا السعادة هي المال بل السعيد هو التقي، وتقوى الله خير ما نملكه وندخره.

2 –التناص:

3- المرجع نفسه، ص185.

[2] - سامي مكي العاني الإسلام والشعر ، ص222.

إن التناص هو نتاج مفهوم عميق يبني هاجسه على أساس انتقال الذات الشاعرة بوجدانها وميولها وحركيتها إلى النص الذي تتجلى فيه مختلف المراجع الروحية الذوقية والجمالية المكونة لتلك الذات المبدعة، فتجليات النص الشعري تتجسد في الافتتان اللغوي عن طريق البحث عن اللغة العليا التي تساند لغة الشعر وتمدها بأبعاد التعبير الشاعري[1] وهذا ما نجده في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

لذا وكما قيل: "النص سليل نصوص سابقة عليه".[2] وهذا لأنه انطلق من المحيط الثقافي الذي ينتمي إليه، فأصبح النص المعاصر عبارة عن مزيج من النصوص التي تلاءم مضمونها، فأعطت لنا نصا جديدا، يتميز بتلك الإشارية والرمزية التي تدل بدورها على منبع ومصدر التأثر، وتاريخ الأدب العربي حافل بهذه الظاهرة الفنية، والسبب راجع وبكل فخر إلى أعظم مصدر يستورد منه الشعراء وهو تراثنا الإسلامي، وسنحاول هنا ذكر بعض النصوص التي توضح قصدنا ، والبداية تكون في:

- التناص مع القرآن العظيم:

لقد شكل القرآن ا لكريم بفضل فصاحته وبلاغته التي تحدى بها الله تعالى فصحاء العرب نصا مقدسا ومصدرا إعجازيا أحدث ثورة فالنية على معظم التعابير التي ابتدعها العرب شعرا ونثرا.لذا نجد سعي الشعراء لترقية أبعادهم اللغوية والفكرية ومنهم إذن ابن الخلوف حيث نجد للقرآن مكانته في نسيج قصيدة المديح النبوي(وهذا عن طريق التآلف بين لغة القرآن ولغة الشعر والانسجام بين الموضوع الشعري والمضمون القرآني)[3]، حيث يقول الشاعر ابن الخلوف:

أضلني بثناياه ومن عجب أن النجوم بها ترجى الهدايا[4].

---

[1] -محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، المدارس، المغرب، ط1، دت، ص147.
[2] -خالد حسين، شؤون العلامات، "من التشفير إلى ألتأويل"دار حليوني، الجادة الرئيسية-دمشق، ط1، 2008، ص179.
[3] -محمد بن عمارة، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر، ص155.
[4] -ابن الخلوف، جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، تحقيق:العربي دحو، دار هومة، الجزائر، دط، 2004، ص69.

إن أول ما يصادفنا في هذا البيت الشعري أن هذا التناص هو تناص إشاري إلى الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [1]، إذ جعل الشاعر النجوم هي التي تهتدي عوض أن يهتدي الإنسان الحائر الضال بالنجوم، وهو تناص يوحي بمدى الجمالية الفنية التي آمن بها الشاعر .

وهذا دليل على النهل من فيض القرآن الكريم والاقتباس من جماله عند الشعراء، هذا لأن القرآن الكريم قد أوجد نمطا جديدا في الكتابة أعجز البلغاء والأدباء وكذا الشعراء على المجيء بمثله، ولذلك نجد أن حضور النص القرآني في النصوص الشعرية ما هو إلا اعتراف بأنه معجزة السماء، فعلوم البلاغة العربية لم تستطع إدراك هذه الجماليات التي سماها النقاد المحدثون(تغيير مقام الكلام)[2].

وبهذا أصبح القرآن الكريم رافدا مهما في الشعر العربي وتداخل في متن نصوصه، فقد استعان به الشعراء في نظم أشعارهم واستلهامهم من الآيات القرآنية، مثل ما نجده عند"أبو علي المرور ذي القاضي الفقيه ت 462هـ" وهذا في الصبر على نكبات الدهر والإيمان بأن بعد العسر يسرا وذلك استجابة للآية الكريمة من قوله جل وعلا: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[3]، حيث يقول الشاعر:

إذا ما رماك الدهر يوما بنكبة فأوسع لها صدرا وأحسن لها صبرا

فان اله العالمين بفضله سيعقب بعد العسر من فضله يسرا.[4]

أما الشاعر صلاح عبد الصبور فانه يستدعي النص القرآني ويوظفه على نحو خفي حيث يتعامل مع النص الغائب بطريقة ممتازة ويقول :

حجازة أكون لو نظرت للوراء

حجازة أصبح أو رجوم .[1]

---

[1] -سورة النجم، آية 16.
[2] -عبد الحميد حيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي، سوسة نوفل، بيروت-لبنان، ط1، 1980، ص75.
[3] -سورة الشرح، آية 5-6.
[4] -محمد الغزالي، ديوان الحياة الأولى، ص19.

فالشاعر يستنصص الآيتين اللتين تقصان قصة لوط عليه السلام وقومه في قوله تعالى:﴿قَالُواْ يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُواْ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾[2].

ومن أبرز الشعراء المعاصرين الجزائريين الذين تفاعلوا مع النص القرآني الشاعر "مصطفى الغماري" والذي يقول:

مذ مارسوا بالطهر كل العهر إنا عاريان

مذ أفرغت منا العقول وأطلقت منا اليدان

قطعت يد لم تهو غير هوانها قطعت يدان[3].

الشاعر هنا يستحضر آيا ت من سورة المسد لقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ﴾.[4] محافظ على النص الأصلي ذلك لأن الشاعر يفرغ النص من حمولته التاريخية ليجسد به أحداثا معاصرة حيث يشخص تغريب عقول المسلمين في عصرنا هذا حيث استبدل اللفظة القرآنية << تبت >> التي تعني خسرت، باللفظة << قطعت >> واستفاد من أسلوب التكرار، فكرر قطعت <<ويد>> التي جاءت بصيغة المثنى "يدان" لتطابق التصوير القرآني. كما نجد قول أحمد حمدي:

يا هائما...

وحدك في ضلال الموت

---

[1] -صلاح عبد الصبور، الديوان، م1، دار العودة، بيروت، لبنان، ط1، 1972، ص235.
[2] -سورة هود، آية82-83.
[3] -مصطفى الغماري، مقاطع من ديوان الرفض، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1980، ص34.
[4] -سورة المسد، آية1-2-3.

يا مضغة

في جوف حوت

تبحث عن شعاع النور

في عالم الديجور.[1]

يستعير الشاعر صورة من أثر آخر ثم يدمجها في خطابه، بذكر إشارة تحيل إليها، فذكر الشاعر (جوف وحوت) فيجعل ذاكرة القارئ تستعيد مشهدا قرآنيا في قصة يونس عليه السلام فقال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنْ الْمُدْحَضِينَ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنْ الْمُسَبِّحِينَ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[2].

- **التناص مع الحديث النبوي:**

إن الحديث النبوي الشريف هو المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي يتميز بجودة صياغته وقيمة معانيه، فنجد العبارة الراقية والأسلوب المنمق، فسمات البلاغة بارزة في المبنى والمعنى ومن بين هذه السمات الإيجاز، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: << بعثت بجوامع الكلم ونصرت بالرعب >>[3]، هذا إضافة إلى انه وسيلة ومصدر استمد منها الشعراء أساليب مختلفة تعبر عن أفكارهم شكلا ومضمونا ومن بين هؤلاء الشعراء نور الدين درويش الذي يتناص مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدته "العصا والأفيون "التي يقول فيها :

منذ ميلاد الحقيقة

وأبي يعلمني السباحة والرماية والركوب

---

[1] -أحمد حمدي، انفجارات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1982م، ص49.

[2] -سورة الصافات، آية 139-144.

[3] - رواه الشيخان من حديث أبي هريرة، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ، ابن حجر العسقلاني، تحقيق:عبد العزيز عبد الله بن باز، دار المعرفة بيروت، كتاب الجهاد، ج6، ص128.

الشمس تشرق من هنا

وهناك خاتمة الغروب.[1]

وهو في هذا المقطع يستحضر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : <<علموا أبناءكم السباحة والرماية وكوب الخيل>>[2]، ادخل درويش معنى الحديث في قصيدته، لأنه تشارك معه في الرغبة إلى التأكيد على شجاعة الإنسان العربي وعدم خوفه من مواجهة المخاطر بتميزه بهذه الصفات الثلاثة مؤكدا كلامه بحديث النبي صلى الله عليه وسلم .

كما نجد تناص ابن الخلوف مع الحديث النبوي والذي ضمنه قصيدته قائلا:

وحبذا زمن الإحرام حيث حلت للمحرمين بلبيك المناجاة

وحبذا العيش في أكتاف مكة إذ طابت لنا بمنى والحيف ساعات

وحبذا عرفات الخير حيث همت بوابل العفو للعاصي سحابات

حيث الحبيب نديم والمقام حمى والراح في كأسها نفي واثبات.[3]

والشاعر هنا يتحرق شوقا لزيارة هذه الأماكن المقدسة أثناء الإحرام فينساب بذلك بمشاعره عبر شعائر الإسلام فكان تناصا مع سنته عليه أفضل صلاة و تسليم، حيث يتناص مع الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :<< سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي العمل أفضل ؟قال إيمان بالله ورسوله، قيل ثم ماذا؟قال: الجهاد في سبيل الله، قيل ثم ماذا؟قال: حج مبرور>> .[4]

وقد احتاجت أوامر الدين ونواهيه إلى ظهور لون جديد من الشعر هو شعر الوعظ والإرشاد والنصح، وهذا ما دعا إليه النبي عليه أفضل صلاة وتسليم–وتعد لامية صرمة بن أبي انس الأنصاري في طليعة تلك الأشعار، فقد توجه بنصيحته إلي أبنائه، ومنها قوله:

يا بني الأرحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال

---

[1] -نور الدين درويش، مسافات، مطبعة جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، دط، 32ص.
[2] -صحيح البخاري، تحقيق مصطفى ديب، ج3، دار الهدى، الجزائر، دط، ، 1992، ، ص53.
[3] -ابن الخلوف، الديوان، ص332-333.
[4] -يحي بن شرف الدين النووي، رياض الصالحين لإختصار الشيخ النبهاني، مكتبة النهضة، الجزائر، دط، دت، ص82.

واتقوا الله في ضعاف اليتامى ربما يستحيل غير الحلال

واعلموا آن لليتيم وليا عالما يهتدي بغير السؤال[1].

هذا ونجد من التناص الحديثي في الشعر الجزائري المعاصر شكل الإحالة التصويرية والإشارة، ونجد هذا التوظيف في قول الغماري:

واغربي في كوى الفناء كن فان البقاء للبيضاء

أمنا لم تزل عطاء من النو ر سليل الكواكب الزهراء[2]

الشاعر هنا يستحضر قوله صلى الله عليه وسلم:<<قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك>>[3]، وكان شكل هذا الاستحضار هو إشارة تحيل إلى الحديث من خلال قوله(فان البقاء للبيضاء) و(أمنا لم تزل عطاء من النور)، في الأولى يشير إلى قوله عليه الصلاة ة السلام: <<تركتكم على المحجة البيضاء>>، وفي الثانية يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : <<ليلها كنهارها >>، التي تدل على النور والإشراق .

3-التمثيل:

لطالما تعلم الشاعر من نص القرآن الكريم وأحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، أين وجد أسرار الإعجاز اللغوي ومصدر الكتابة الراقية، فالشعراء يستعيرون من هذين النصين أشكال تعبيرية واسعة تستجيب إلى رغبتهم الداخلية، فيعبرون عن أعماقهم وأحاسيسهم بذلك التصوير والتمثيل الذي يعتبر إعادة صياغة أو تشكيل خيالي للواقع بما تضفيه أو تستحدثه من إشارات وعلاقات، ويختلف التصوير باختلاف الشعراء، حيث تنوعت طرائق الاستحضار فنجد مثلا:

[1] -سامي مكي العاني، الإسلام والشعر، ص69.
[2] -مصطفى الغماري، براءة، دار المطالب العالية، الجزائر، ط1، 1994، ص6.
[3]-رواه الإمام أحمد في مسند المدنيين من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، ج4، ص126.

الشاعر محمود درويش يستحضر العديد من الآيات من سورة يوسف عليه السلام، في شكل استعارات كبيرة، في قصيدة "أنا يوسف"حيث يقول :أنا يوسف يا أبي إخوتي لا يحبونني لا يريدونني بينهم يا أبي يعتدون علي ويرمونني بالحصى والكلام .يريدونني أن أموت لكي يمدحوني .وهم أوصدوا باب بيتك دوني .وهم طردوني من الحقل، هم سمموا عنبي يا أبي .وهم حطموا لعبي يا أبي حين مر النسيم ولاعب شعري غاروا وثاروا علي وعليك، فماذا صنعت لهم يأبي ؟...[1]، وقصة يوسف عليه السلام تحمل سحرا خاصا للأديب العربي.

هذا ونجد ضروب أخرى في هذا التصوير كالتشبيه، الذي يمكن إدراكه من خلال السياق، وهذا في هجاء جرير من قبل الفرزدق القائل :

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

بيتا زواره محتب بفنائه ومجا شع وأبو الفوارس نهشل

لا يجتبي بفناء بيتك مثلهم أبدا إذا عد الفعال الأفضل

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل[2] .

فالشاعر هنا شبه بيت جرير وقبيلته ببيت العنكبوت في وهنه وانكشافه، وهذا في شكل إشارة تتضمن معنى الآية الكريمة من سورة العنكبوت في قوله سبحانه وتعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3].

كما نجد في قول الشاعر ابن المعتز تشبيه ضمني يعكس تأثره بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

---

[1] - جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر ، ص172.

[2] -فايز الداية، جماليات الأسلوب"الصورة الفنية في الأدب العربي"، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دط، دت، ص106-107.

[3] -سورة العنكبوت، آية:41.

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله

فالنار تأكـل نفسها إن لم تجد ما تأكله.[1]

فالصبر على كيد الحسود قاتله، كالنار التي تأكل نفسها، وهذا التشبيه يتضح من خلال المضمون أين تتضح علاقة التصوير.

هذا وقد قدم بشار بن برد بيتا شعريا يشتمل على صورة مركبة شكلت مستوى فني راقي في التمثيل وهو يقول:

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه.[2]

وهذا النوع من التمثيل نجده بكثرة في آيات القرآن الكريم، فقد عبر عن غبار المعركة الذي يملأ الأفق والفضاء، وضربات السيوف المتتالية تشع كالنجوم في الليل وهي تتهاوى .ونجد كذلك إيحاءات في قصيدة "مطر" للشاعر محمود درويش التي يقول فيها:

يا نوح، هبني غصن زيتون

والدتي... حمامة

و إنا صنعنا جنة

كانت نهايتها صناديق القمامة

يا نوح...لا ترحل بنـا

إن الممات هنا سلامـة

إنا جذور لا تعيش بغير أرض...

ولتكن أرضي ...قيامـة[3].

هذه الصور والدلالات، كغصن الزيتون والحمامة ونوح تمثل صورة السلام والنجاة. وما هذه إلا نماذج تمكننا من الكشف عن صور الإبداع الأدبي، ولعل هذا ما يوافق قول ريتشارد

[1] -حسن عبد الجليل يوسف، التصوير البياني بين القدماء والمحدثين، دار الأفاق العربية، القاهرة-مصر، دط، دت، ص21.
[2] -نفسه، ص19.
[3] -عدنان حسين قاسم، التصوير الشعري"رؤية نقدية لبلاغتنا العربية، دار العربية للنشر والتوزيع، مصر، دط، 2000، ص208.

هوجارت :"بأن التراث إذا ما قرئ كما ينبغي لاشك سيمنحنا فرصة كبيرة لتوسيع اقتناصنا الخيالي لكثير من نواحي الحياة الإنسانية".[1]

كانت هذه لمحة عن بعض التجليات الجمالية والفنية الرائعة التي ظهرت للوجود في عذوبة، معبرة عن نفوس انصهرت في معاني وأساليب كتاب الله المعجزة وأحاديث نبيه المرسل رحمة وهداية للعالمين صلى الله عليه وسلم، وسنحاول التعمق أكثر في أثر الدين الإسلامي بمكوناته المختلفة في أشكال التعبير الشعرية عند .الأمير عبد القادر في الفصل الموالي.

[1] -المرجع نفسه، ص198.

أولا- الإطار المنهجي:

2- تقديم الموضوع:

لقد ساير الشعر الجزائري مختلف تطورات الحياة الأدبية والفكرية العربية، سواء من حيث تأثرها بأنواع المذاهب والاتجاهات، أو من حيث تأثرها بالآداب الأجنبية، وكذا موجة التأثر والتقليد بالتراث العربي عامة وبالتراث الإسلامي خاصة، وان هذا الأخير هو ما سنسلط عليه الضوء، وهذا في مختلف عناصره أو بالأحرى أشكاله ومضامينه، في محاولة متواضعة مثلها الإبحار في أعماق شاعر عظيم حفر اسمه من ذهب في ذاكرة الأدب العربي والجزائري، كيف لا وصاحبها الأمير عبد القادر الجزائري، الذي طالما اقترن اسمه بالقضايا الإنسانية الكبرى، ودون صوته في سماء كانت تحت نير الاستعمار الغاشم، فأيقظ النفوس وأنعش القلوب.

2- إشكالية البحث:

-كيف تمظهر التراث الإسلامي في الشعر الجزائري الحديث، وعند الأمير عبد القادر تحديدا؟.

ومن هنا تحددت المعا لم الأساسية للبحث، من خلال وضوح الإشكاليات الفرعية التالية:

- فيما تمثلت أشكال ومضامين الشعر الجزائري الحديث ؟.

- ما هي مكونات التراث الإسلامي ؟وكيف تمظهرت داخل النص الشعري الجزائري، خاصة عند الأمير عبد القادر ؟.

وللإجابة عن هذه الإشكاليات ،ارتأيت وضع فرضيات:

3- الفرضيات:

- التنقيب عن أثر التراث الإسلامي في الشعر الجزائري هو حفاظ على الهوية .

- البحث في مكونات التراث الإسلامي هو إحياء لها.

- تقديم التراث الديني بلغة إبداعية فنية تكشف عن مدى الاستفادة منه شكلا ومضمونا.

– القصيد ة الأميرية تعكس الشخصية الجزائرية العربية والإسلامية المتميزة والمنفردة.

4– منهجيه الدراسة:

اقتضت طبيعة الموضوع ونوعية الإشكاليات التي أثارها البحث الاستعانة بأكثر من منهج، فنجد المنهج الوصفي التحليلي قصد الإحاطة بالموضوع ومحاولة الاستقصاء في قضية توظيف التراث الديني، حتى نصل إلى تحليل الظاهرة وإثبات الفرضيات، وكذا المنهج التاريخي الذي يقوم على تقصي الظاهرة المعنية بالدراسة، وذلك بالبحث في الأثر الديني للشخصية الجزائرية.

5– أهداف الدراسة:

خلفيات وبواعث الدراسة تمثلت في:

– حضور الدافع القوي والرغبة الملحة في محاولة التنقيب والبحث في شعر متعدد الموضوعات لشاعر سخي.

– إبراز معالم دينية للشخصية الجزائرية المنفردة .

– غنى وثراء التراث، الذي فرض علينا تصوير ونقل حقيقة وعي الشاعر الجزائري بضرورة الحفاظ على التراث الإسلامي.

6– الدراسات السابقة:

هناك الكثير من الدراسات التي تناولت الشعر الجزائري من حيث أثر التراث الإسلامي في أشكاله ومضامينه، ومن بين هذه الدارسات العلمية الحديثة رسالة ماجستير والمعنونة "بالبعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري"، وقد تمحورت في الكشف عن التجربة التي خاضها الأمير بأبعادها الروحية ومواقفها المنبثقة عن الدين الإسلامي، من خلال المعطيات السياسية، العسكرية والأخلاقية في إقامة دولته، فهي محاولة لإجابة عن تساؤلات كبري منها: هل أسس الأمير دولته علي مقومات دينية ؟ كيف نفسر صموده في أسره لولا قوة قناعته الدينية، وتماشيا مع وقفاته الروحية؟ كيف بقي الأمير حيا في الذاكرة الجزائرية

والإنسانية ؟ وهذا من اجل الوصول إلي تأكيد تلك الدلالات الحضارية والروحية لمقاومه الأمير، الذي جمع بين تأسيس الدولة والفكر.

وكذلك بعض الدراسات العربية منها رسالة ماجستير لصاحبها محمد عبد الحسن فقيه، بعنوان "النزعة الإسلامية في شعر محمد علي الحوماني" بجامعة القديس يوسف، والتي تناولت ربط الشاعر بين مسلكه الديني والدنيوي بأثر الإسلام في شعره، وضمنه تربية النفس من القرآن والحديث ونهج البلاغة، وعلي ضوء هذه

الحقائق والوقائع ظهرت في شعره بذور إسلامية قامت علي جذورها وفروعها قصائد محمدية غنت أخلاق محمد ومجدت برسالته النبوية وشرحت المفاهيم والتعاليم الإسلامية التي أعطت للعالم أعرق الحضارات.

وهناك دراسة أخري بعنوان "التناص في شعر الأمير"، والتي انطلقت من مسائل التناص في النص الشعري عند الأمير، فتوصلت إلي أن تناصات الأمير عبد القادر مع الشعراء السا بقين لم تتعدى حدود التضمين والاقتباس، غير إن هذا لا ينفي فنية الشاعر المتميز، فارتداد الشاعر إلي الماضي واستحضار نصوصه، يعد من أكثر الأمور فعالية، ولذلك فان الكثير من نصوص شعر الأمير قد تناسلت من رحم النص الشعري السابق، وهذه محاولة لإظهار بعض مظاهر التناص في شعر الأمير، وفق ما أتيح من استيعاب لإجراءات المنهج التناصي وتقنياته المختلفة .

ونجد كذلك رسالة ماجستير بعنوان: "التناص في تائية ابن خلوف"، والتي تناولت التناص من مفهوم عربي ثم غربي سواء من حيث الدلالات المعجمية أم الدلالات الاصطلاحية، معرجة على تطوره في الدراسات النقدية الغربية والعربية خاصة، وإبراز شخصية الشاعر ابن خلوف وثقافته الدينية، ثم البحث في تلاحم النصوص السابقة مع النص الحاضر تلاحما فنيا وجماليا، إذ لا يمكن فك شفرات النص الجديد إلا بعد وعي فني وإيغال في مصادره الأساسية، عن طريق فك الإشارات الرامزة إلى النصوص الغائبة وهذا ما

يعرف بالتناص العمودي أو العميق، كما نجد التناص الأفقي أو السطحي أين الاحتذاء، السرقة، التضمين و... وهو الذي يأتي بمعاني النص الغائب أو ألفاظه، أو إعادة بنية النص الغائب، وكان هذا في تأملات روحية توصل إلى الصفاء الروحي، والتي دلت على هدف الشاعر من خلال نظمه "تائيته"، فكان القرآن الكريم، السنة النبوية، والشعر العربي ما استسقى منه الشاعر قصيدته التي كشفت لنا عن ذلك التناص المبثوث عبر القصيدة.

وما هذه إلا لمحة موجزة من الدراسات الكثيرة التي تناولت قضية توظيف التراث الإسلامي.

ثانيا- الإطار المفاهيمي :

تضمن هذا الجزء التعريف اللغوي والاصطلاحي للمفردات المهمة، والتي ننطلق منها في تحديد سير البحث وفق المطلوب بالغور في عمق تراثنا الديني، ثم نسير مع تلك التناصات الفنية الشعرية الراقية هنا وهناك.

1- ملامح:

- **لغة :** من الفعل "لمح"، اللام والميم والحاء أصل يدل علي لمح شيء، يقال: "لمع البرق والنجم لمعا إذا لمحا، "قال الطويل:

أراقب لمحا من سهيل كأنه***إذا ما بدا من أخر الليل يطرق .

ويقولون: "لأرينك لمحا باصرا، أي أمرا واضحا"[1]، ويقال :في فلان لمحة من أبيه ثم قالوا فيه "ملامح" من أبيه أي مشابه له.

- **اصطلاحا:** هي السمات والمعالم التي تميز الظاهرة، فتبدو واضحة العناصر والمكونات، باعتبارها رسم للمسار ووصف للإطار والطابع، فملامح الروح الإسلامية مثلا تبدو في فصاحة وبيان الأمة العربية، من خلال الشعر الذي يعتبر سمة من سمات الحضارة العربية،

[1] - أحمد بن فارس بن زكريا، المقاييس في اللغة، تحقيق شهاب الدين، دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ص38، 39.

يقول أبو اليقظان [1]"اعلم أن آداب كل أمة مرآتها، ومرآة الأدب الشعر، فالشعر مظهر تظهر فيه مشاعر الأمة، وتتجلى فيه أحوالها، وتتراءئ للرائي نفسيتها...".

2- توظيف:

- **لغة:** من" وظيفة "؛ والفعل وظف، فالواو والظاء والفاء "كلمة تدل علي تقدير شيء"، يقال وظفت له إذا قدرت له كل حين شيئا من رزق أو طعام ثم استعير ذلك في عظم الساق، كأنه شيء مقدر، وهو ما فوق الرسخ من قائمة الدابة إلي الساق ويقال: "وظفت البعير، إذا قصرت له القيد" [2].

- **اصطلاحا:** إن التوظيف هو بمثابة العودة التي تفيد التكرار، التقليد والاقتباس، فهو ظاهرة فنية في الأدب، باعتباره مشاركة ومعانات نابعة من موقف تمليه اللحظة الراهنة، بتقديم قراءة جديد وعميقة من خلال الإبحار في تاريخنا الأدبي، أو محاولة الاستعانة بالعناصر التراثية لتلبية حاجات متنوعة في فنون الأدب خاصة الشعر.

فتوظيف التراث في الشعر يتميز بذالك التفاعل العضوي بين العناصر التراثية والتجارب الشعرية، ويفتق فيها أبعادا جديدة فكرية وجمالية تنعكس بالإيجاب علي التجربة الشعرية، هذا ولكل شاعر فهمه الخاص وأسلوبه في التعامل مع التراث، وهذا راجع إلي ثقافة الشاعر وطبيعة مزاجه، ومقدرته علي إدراك أسرار الاستعانة بأصوات الماضي، كما أن الاختلاف قد يكون حسب عصر كل شاعر، فإذا كان الشاعر العربي القديم ينظر إلي التراث على أنه صور وأشكال للزينة، فهو عندهم لا يتجاوز ربط الماضي بالحاضر لوجود شبه بينهما، مثل ما نجده في قول المتنبي يهجو بني كلب [3]:

ما مقامي بأرض نخلة إلا *** كمقام المسيح بين اليهود

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، ط2، 2006م، ص69.
[2] - أحمد بن فارس، مرجع سابق، ص1096.
[3] - جورج عبد معتوق، المتنبي شاعر الشخصيات القوية، دار الكتاب اللبناني، ط3، 1981، ص187.

نجد هنا توظيف الرمز التراثي لوجود شبه بين ماضي وحاضر الشاعر، وهو ربط ألي حافظ فيه الشاعر علي دلالات العناصر التراثية.

فطبيعة التوظيف عندهم تتفق وثقافة العصر، أين يفضي الأديب بما يريد .

أما عن توظيف شعراء النهضة للتراث فهو لا يكاد يختلف عنه عند القدامى، ذالك أن حركة الإحيائيين نظرت من زاوية فنية بحتة، فوجدت فيه نموذج رائع في التعبير، الذي ينبغي أن يحتذي ولعل الاختلاف الوحيد بين شعراء المرحلتين في توظيف التراث ينحصر في المنطلق والغاية من الاستعانة بالتراث، فقد ساد في بداية النهضة ذالك الفهم "الماضوي"، وبالتالي العمل علي إثبات الذات وتأكيد الهوية بالعود إلى (الأصل الذي يرادف الماضي والتراث).[1]

أما شعراء التجربة الجديدة فقد تمثلوا التراث جوهرا وروحا ومواقفا، فكانت علاقتهم به هي علاقة استيعاب وإدراك واع للمعنى الإنساني والتاريخي، فلا شك أن بروز توظيف التراث كظاهرة فنية متميزة في الشعر العربي عامة والجزائري خاصة يعود إلي جملة ما استحدثه رواد التجربة الشعرية الجديدة، من خلال بحثهم في معطيات لتأسيس مفاهيم جديدة لشعر يمثل سمات كل مرحلة علي حدى .

ولأن مصادر التراث كثير جدا ومتنوعة، فكل شاعر يجد توجهه ونزعته الشعورية من خلال تعدد هذه الينابيع، إذ أنه حر بملكه كأي شاعر أخر لهذه الإبداعات القديمة، فيمتلك قدرة علي النفاذ إلي وجدان الإنسان المعاصر، وما يتميز به من نظرة شمولية أو قيمته في أي لغة أو تعبيره عن الإنسان.[2]

لكن التوظيف يستند إلي قواعد ومعايير للاستفادة من التراث، والتي حصرها احد الباحثين في ثلاث نقاط وهو "أدونيس في حديثة عن الحداثة الشعرية، وهذا في ثلاث

[1] -مخلوف عامر، التراث والتاريخ في الكتابة الروائية، اتحاد كتاب الجزائر، مجلة المسألة، ربيع 1991، ص37.
[2] -صالح جواد الطعمة، الشاعر العربي المعاصر ومفهومه النظري للحداثة، مجلة فصول ج4، ع4، 1984، ص18.

مستويات: الانفصال عن قيم الماضي لتأكيد قدرة الذات علي الإبداع الجديد وإسقاط التراث من الذاكرة التاريخية حين تفقد عناصره ومكوناته صفة الحياة، وانتفاء الرموز الصالحة من التراث، وهذه تحتاج إلي مهارة خاصة قد لا تتوفر إلا لقلة من المبدعين"[1].

أما في دواوين الشعر العربي الحديث فنلحظ تجاوزهم هذه المعايير وهذا يعود لسببين؛ فإما أن يستخدم الشاعر الرمز القديم بوصفه مقابلا، فيفقده طبيعة الرمز وإما أن يكدس هذه الرموز فيصعب معه تمثل دور كل رمز منها في السياق الشعوري، ومن أمثلة ذالك قول بدر شاكر السياب في قصيدته "المومس العمياء":

أحفا د دبب الضرير ووارثوه المبصرون.

جوكست أرملة كامس، وباب طيبة ما يزال.

يلقي أبو الهول الرهيب عليه من رعب ظلال

هذا وكثير من نماذج شعر المعاصرين الذي تتوالى فيه الشخوص أو الرموز الأسطورية علي نحو لا يتيح لنا فرصة تمثلها، لان الشاعر رص قصيدته بهذه الرموز التراثية دون أن يوفر لها مجالا حيويا، لأن اختيار الرموز التراثية ليست عملية اعتباطية، وإنما التجربة الشعورية هي التي تستدعي الرمز القديم لكي تجد فيه التفريغ الكلي لما تحمل من عاطفة أو فكرة شعورية .

وبهذا فالتوظيف من الوظيفة أي هناك اتجاه بين بنية الأثر الفني ووظيفته الجمالية أو الأخلاقية.

3- التراث :

- **لغة:** إن لفظ التراث في اللغة العربية مشتق من "ورث "وتعني ما يرثه ابن من أبيه من مال وحسب، أو حصول المتأخر عللي نصب مادي أو معنوي ممن سبقه، فالورث، الإرث،

[1] -عبد الله أحمد الهنا، الحداثة وبعض العناصر المحدثة في القصيدة العربية المعاصرة، وزارة الإعلام، الكويت، مجلة عالم الفكر، 1888، ص278.

الوارث، الاراث والتراث كلها تشير إلي معني واحد فالورث والميراث خاصان بالمال، وأما الإرث خاص بالحسب [1]، وقد جاءت الوارث في القران الكريم صفة من صفات المولي عز وجل : ﴿ وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْداً وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾.[2]ومن الاستعمالات النادرة لكلمة تراث بمفهومها المعنوي ما جاء في معلقة عمر بن كلثوم حيث يقول:

ورثنا مجد علقمة ابن سيف ***اباج لنا حصون المجد دينا [3].

ومعني هذا أننا ورثنا مجد هذا الرجل الشريف من أسلافنا، وقد جعل لنا حصون المجد مباحة قهرا وعنوة أي غلب علي أقوامه المجد ثم أورثنا مجده ذالك .

– **اصطلاحـــا:** التراث العربي هو كل ما ابتدعته المجتمعات العربية في حركة سيرورتها التاريخية، منذ العصر الجاهلي حتى بداية مرحلة الاستعمار، وهذا من فكر وثقافة وقيم أخلاقية ما تزال[4].

وعندئذ يصبح مدلول التراث يشمل الجانب المعنوي أو الروحي للأمة أو لأي شعب من شعوب العالم، "فهو روح الماضي، الحاضر والمستقبل، حتى بالنسبة للإنسان الذي يحيا به وتموت شخصيته وهويته، إذا ابتعد عنه أو فقده."[5]

وهناك من حاول أن يعطي له مفهوما أوسع، بحيث تتجلى فيه صفة الفعالية، التأثير والشمول، فيعرفه غالي شكري :"بأنه جماع التاريخ المادي أو المعنوي للأمة منذ أقدم العصور إلى الآن"[6]، فتراث أي فن يشكل حلقة لا يمكن تجاهل تأثيرها لأنه جزء من الواقع وخلاصة الماضي وروحه، اللتان تشكلان عنصر الاستمرار والوجود، ولأن الواقع ثمرة الحركة يساهم فيها الماضي نتيجة لفعل التراث.

---

[1] -ابن منظور، لسان العرب، مجلد2، ط2، دار صادر، بيروت، لبنان، 1992، ص192 - 200-201.
[2] -سورة الأنبياء، آية 89.
[3] -أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، الدار العالمية، بيروت، لبنان، 1992، ص122.
[4] -يوسف داود أحمد، لغة الشعر، بحث في المنهج والتطبيق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1986، ص63.
[5] -سعيد سلام، التناص التراثي، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2010، ص12 -16.
[6] -غالي شكري، التراث والثورة، دار الطبعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1973، ص18.

وقد عرفه أغلبية الكتاب والمفكرين بأنه "ما تركه ورثة السلف للخلف"[1]، وكذا "بأن كل ما مضى من قبل ووصل إلينا حيا أو ميتا فهو تراث "[2]، وكانت نظرية التراث في مجملها تعتبر إثراء واغناء للرؤية الشعرية وتجسد هذا في الوصل الحي لحاضر الشاعر بماضيه، وإن هذه المحاولات الفردية في التراث العربي تحولت إلى ظاهرة واعية، تأثر بها شعراؤنا المعاصرون حتى بالآداب الأوربية خاصة توماس سيرترأليوت ونظريته في استغلال الموروث أو التقاليد الشعرية، وفي هذا الصدد يقول: <...التراث هو خير أجزاء القصيدة...>[3]، لكن أكثر ما يهمنا هو التراث الإسلامي، وهو "التراث الذي سجل بالعربية، واتخذ من الإسلام منهجا، يتأمل ما جاء في القرآن العظيم، ويتبع أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم، ويسجلها في كتب هي التراث العربي الإسلامي المكتوب"[4].

غير أنه لا يمكن الخلط بين مصطلحي التراث والتاريخ، "فإذا كان التاريخ هو الماضي في بعده التطوري، فان التراث هو الماضي في بعده التطوري موصولا بالحاضر ومتداخلا فيه كما يمكن التمييز بين التراث والموروث انطلاقا من كون التراث هو استقرار الماضي في الحاضر، في حين أن الموروث هو ما نملكه من التراث عينا"[5]، وهناك الموروث المادي والذهني، وينقسم التراث إلى قسمين:شفهي هو في صدور الرواة متناقلا من جيل لآخر، ومكتوب هو محفوظ في الوثائق والمخطوطات، وبشكله ومضمونه العام "التراث ما خلفه السلف من أثار فنية أدبية وعلمية، وكل ما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه"[6].

4- الإسلامي:

[1] -العنتيل فوزي، الفلكلور ما هو، دار النهضة العربية للنشر، القاهرة، د ط، د ت، ص77.
[2] - نعيم الباقي، أوهاج الحداثة، د ط، د ت، ص50.
[3] - محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط2، 1984، ص320-321.
[4] -حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، 1988، ص13.
[5] - حلمي ايدير، أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء الدنيا للطبع والنشر، الإسكندرية، ط2، 1997، ص4.
[6] - كامل المهندس واخرون، معجم المصطلحات العربية، في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1974، ص93.

– **لغـة:** مـن الفعـل أسـلم ؛السـين والـلام والمـيم، معظـم بابـه مـن الصـحة والعافيـة، ومنـه السلامة أي أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى[1]، والسلام هو الله جل ثناؤه وقال تعالى: ﴿وَاللّـهُ يَـدْعُو إِلَـى دَارِ السَّـلاَمِ وَيَهْـدِي مَـن يَشَـاءُ إِلَـى صِـرَاطٍ مُّسْـتَقِيمٍ﴾[2]، ومـن البـاب أيضـا "الإسلام"، وهو في اشتقاقه اللغوي يدل على معنى الخضوع والانقياد، لأنه يسلم من الإباء والامتناع .

– **اصطلاحا:** هو كل ما ارتبط بالإسلام عقيدة وعمل، وأهم أصل في العقيدة الإسلامية هو الإيمان بوحدانية الله وتفرده في التدبير والتسيير، وتتبثق عن هذا الأصل، أصول أخرى هي أصول العقيدة الإسلامية، وبجانبها أعمال من العبادات يجب على المسلم أداؤها، وهي ترجع إلى أربعة فصول : الصلاة، الصوم، الحج والزكاة، لكن الإسلام لم يرسم للمسلمين عقيدتهم وفروضها العملية فحسب بل أكثر من ذلك.

فجوهر الحضارة الإسلامية يتمركز في دائرة النصوص المقدسة، من القرآن الذي بهر جهابذة الفصاحة وعجز أساطين البيان، والحديث الشريف، يقول الرسول عليه أفضل صلاة وتسليم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"[3]؛ يعني السنة، فقد كان للإسلام تأثيرات عميقة في الحركـة الأدبيـة شـملت جـانبي الشـكل والمضـمون، فمنـذ فجـر الإسـلام الأول بـدأ الشـعراء يتحـدثون عـن عقائـد الـدين ومثلـه العليـا، فقـد تنـاولوا فـي هـذا الغـرض وحدانيـة الله سـبحانه وتعـالى، الـوحي، النبـوة، العقيـدة، الحيـاة والمـوت ....، فالإسـلام يـدعو إلـى الإيمـان بالأنبيـاء والرسل، وقد تناول حسان بن ثابت هذا الإيمان وأنشد [4]:

شهدت بإذن الله أن محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

وأن أبا يحيى ويحيى كليهما له عمل في دينه متقبل

وأن الذي عاد اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذي العرش مرسل

---

[1] - www.baheth.info

[2] -سورة يونس، آية25 .

[3] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، دار الغد الجديد، القاهرة، المنصورة، ط1، 2008م، ص4.

[4] - سامي مكي العاني، الإسلام و الشعر، عالم المعرفة، الكويت، ع66، 1999، 68.

وأن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يجاهد في ذات الإلـه ويعدل

فبالشعر الإسلامي تحررت عقول الشعراء من التقليد الجاهلي في الشعر لفظا، معنى وأسلوبا، وذلك لأنه لغة القلب والعقل معا، لذا فالإسلام مرتبط بهويتنا وثقافتنا، يقول لويس ماسينيوس : <مستقبل المسلمين يتعلق بمدى وفائهم للتقليد الإبراهيمي، وبمدى قدرتهم على إعادة بناء عالمهم الروحي الأصيل وتحديد ثقافتهم الحقيقية >[1].

5- الشعـر :

- **لغـة:** الشين، العين، والراء أصلان معروفان يدل أحدهما على الثبات والأخر على العلم، يقال ليت شعري أي ليتني علمت، وقال قوم أصله من الشعرة كالدربة والفطنة، والدليل على ذلك قول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم [2]

يقول إن الشعراء لم يغادروا شيئا لا فطنو له، ويعرفه الأزهري "الشعر القريض المحدود بعلامات لايجا وزها، والجمع أشعار وقائله شاعر، لأنه يشعر بما لم يشعر به غيره أي يعلم"[3].

- **اصطلاحا:** الشعر في التعريف الشائع عند القدماء هو "كلام موزون مقفى"، وتختلف أشكاله حسب المضامين التي يحتويها، ويعرف عبد "الرحمان شكري "الشعر شعرا في مقدمة الجزء الثاني من ديوانه الآلي الأفكار قائلا[4]:

وإنما الشعر مرآة لغانيه هي الحياة فمن سوء وإحسان

وإنما الشعر تصوير وتذكرة ومتعة وخيال غير خوان

وإنما الشعر إحساس بما خفقت له القلوب كأقدار وحدثان

من كل معنى يروع الفهم طائلة معنى من الجان في لفظ من الجان.

---

[1] - حمود نوفل، مآذ ن وأبراج، مجلة دبي الثقافية، ع91، سبتمبر 2013، ص56.

[2] -.www.ba heth.info

[3] -كامل المهندس واخرون، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص211.

[4] -عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1990، ص82،

فالشعر إذن حسب هذا التعريف هو أداة جميلة لاستيعاب الحياة بأبعادها المختلفة، لأن الخيال والإحساس مرتبطين بالجانب الفني وكذا التصوير، في حين نجد المعنى مرتبط بالجانب الفكري .

هذا ونجد لمحة رقيقة الكلمات، لطيفة المعاني، تعبر عن حقيقة الشعر في عين شاعر، والذي يقول:"الشعر نبوة مستمرة، وعضة حلوة في القلب، ومحاولة للقبض على الجذور، وذوبان متواصل تحت إيقاع حريق يوقد من أحلام الذات وأنغام الحياة، مشكلا وجودا ثانيا داخل الوجود..."،[1] فالشعر يرافق الإنسان في الشدة والرخاء حاملا الأفراح والأحزان عن القلب لكن بذوق جميل يعكس فنية فذة في النفوس الشاعرة، لأنها تملك سر وسحر من خلال تلك اللغة الفنية التعبيرية، بل هو أكثر من ذلك، فهو يعيد معنى كلمة الحق إلى أرضها التي فيها للشعر والحياة منبع واحد[2].

وهكذا فالنفس هي مصدر الفن الشعري، الذي بمقتضاه تتحدد مكانة العمل الإبداعي، والشعر لا يعبر عن الحقيقة مباشرة، بل يعتمد على التصوير الفني والتلميح والإيحاء، هذا بالإضافة إلى التجربة الشعورية المعاشة، والتي يجتهد الشاعر لإخراجها بكيفية فنية، تعكس المعاناة بصدق وهذا يطابق القول الجميل لعباس محمود العقاد"الشعر تعبير عن شعور صادق، و...أنه حقيقة الحقائق ولب اللباب والجوهر، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين..."، ونجد رؤية الشاعر" رمضان حمود للشعر"قريبة جدا من رؤية العقاد، لأن الشعر عنده ليس وزن وقافية فقط، ولكنه شعور وإحساس صادق.[3]

وبهذا فالشعر فن من فنون الكلام من خلال الإيقاع الصوتي واستعمال المجاز، لإدراك الحياة والأشياء إدراكا لا يوحي به النثر الإخباري، يقول البحتري [4]:

الشعر لمح تكفي إشارته وليس بالهذر طولت خطبه.

---

[1] -قدور رحما ني، أوراق حول الشعر والتصوف، البديع للنشر وللخدمات الإعلامية، الجزائر، دط، 2009، ص8.
[2] -محمد بنيس، الحق في الشعر، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007م، ص5.
[3] -عمار بن زايد، مرجع سابق، ص82-83.
[4] -كامل المهندس وآخرون، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص212.

وقد اختلفت الآراء في تعريف الشعر إلا أنها اتفقت أغلبها على خواص أساسية، لابد من وجودها في الكلام حتى يستحق أن يسمى شعرا .

6- الجزائـري :

- **لغـة:** يقال جزر الشيء من باب ضرب وقتل، والجزر نحر ؛نحر الجزار جزورا وجزرت الجزور أجزرتها، والجزور الناقة المجزورة والجمع جزائر وجزر وجزرات من جمع الجمع كطرق و طرقات، والجزيرة أرض ينجزر عنها المد، والجزائر واحدة والجزائر جمع، ومنها سميت الجزائر جزائر.

- **اصطلاحا:** جزائري، وجزائر اكتسبت تسميتها من أ ربع جزر كانت محاذاة الشاطئ في العهد العثماني وكل ما نسب إليها هو جزائري، وما يهمنا في هذه النسبة هنا هو الواقع الفكري الذي يرتبط بالشعر، والذي بعث في ظل الحركة الإصلاحية حيث اخرج من سطحية الفكرة إلى عمقها ومن جمودها إلى حركتها في تشجيع للغة العربية وخدمة الثقافة العربية الإسلامية وإذاعتها بين الناس بمختلف الأساليب الفنية[1].

7- الحديث:

- **لغـة:** من "حدث"؛ الحاء والدال والثاء أصل واحد، وهو كون الشيء لم يكن، يقال حدث أمر بعد أن لم يكن والرجل الحدث الطري السن والحديث من هذا، لأنه كلام يحدث منه الشيء بعد الشيء ورجل حدث حسن الحديث، ورجل حدث نساء إذا كان يتحدث إليهن[2].

- **اصطلاحـــا:** هو التجديد وليس نفي للقديم، وهو إثبات للحياة المتجددة والانتظام الفني والفكري في النسق الجمالي، الذي كشف عن هذا التجديد على صعيدي النظر والتعبير معا، أي بمعنى الاستمرار، لكن ليس بمعزل عن الماضي والتاريخ، وفي سياق الإبداعية العربية هو انفجار المكبوت وتحرره، فأن يفكر العربي حقا تفكيرا حديثا، وأن يكتب كتابة حديثة

[1] -www.baheth.info

[2] -أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، مقاييس اللغة، ص251.

أمران يعنيان أولا ؛أن يفكر فيما لم يفكر فيه حتى الآن، فأن يكون الشاعر العربي حديثا هو أن تتلألأ كتابته، كأنها لهب طالع من نار القديم وكأنها في الوقت نفسه نار أخرى.[1]

8- التناص:

- **لغـة:** التناص رفعك الشيء، نص الحديث ينصه نصا؛ أي رفعه، وكل ما أظهر فقد نص، وقال عمر بن دينار :"ما رأيت رجلا، أنص للحديث من الزهري أي أرفعه له وأسنده "، ويقال نص الحديث إلى فلان أي رفعه إليه وكذلك نصصته إليه[2].

ونص الرجل نصا ؛إذا سأله عن الشيء، ونص كل شيء منتها ه، ونصصت الشيء حركته، وينصهم عن الشيء حتى يستخرج ما عنده ونصص الرجل غريمه إذا أستقصي عليه، ومنه قول الفقهاء :نص القرآن ونص السنة أي ما يدل ظاهر لفظها من الأحكام[3]، والنصصة الحركة وكل شيء قلته فقد نصصته، والنصة ما أقبل على الجبهة من الشعر والجمع نصص ونصصاص، [4] وتناص القوم ازدحامهم والتناصص مصدر الفعل على وزن تفاعل أي المشاركة والتفاعل والتعدية ومنه نصصته إذا جعلت بعضه على بعض[5].

فالتناص مصطلح حديث من الناحية اللفظية، وحديث من ناحية المفهوم، رغم أنه احتوي على بعض مفاهيم المعاجم القديمة وتشارك في بعض جوانبها، ولكن يبقى هذا المصطلح الأصلح بالرغم من كل ما يشهده النقد المعاصر من تغير وتطور[6] .

- **اصطلاحا:** هو اعتماد نص ما على نص أو أكثر، أو ما حاول بعضهم أن يجعله أكثر عمومية بالقول أنه "علاقة بين ملفوظين"[7]، فتفاعل نص مع غيره من النصوص هو تناص، أي أن عملية توليد النصوص تكون عن طريق توليد دلالات جديدة ومتجددة، فلا

---

[1] -www.baheth.info

[1] -، أدو نيس، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989، ص112.

[2] -ابن منظور، لسان العرب، ج8، دار الحديث، القاهرة، مصر، ص575.

[3] - رضا أحمد، معجم متن اللغة، دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، 1990، ص472.

[4] - ابن منظور، لسان العرب، ، ص176.

[5] - لؤلؤة عبد الواحد، من قضايا الشعر المعاصر، مقال التناص مع الشعر العربي، مجلة الوحدة، الأردن، ع82-83، 1991ص14.

[6]- جمال مباركي، التناص وجماليات في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومة للطبع، الجزائر، دط، دت، ص7.

[7] - أيمن البلدي، الشعر والشاعرية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط، 2006م، ص95.

يمكن استكشافها في النص الأسبق، وقد يكون لها في النص اللاحق حضور دلالي متميز[1].

فالتناص هو تداخل نصوص أدبية مختارة قديمة أو حديثة شعرا أو نثرا مع نص القصيدة الأصلي، بحيث تكون منسجمة وموظفة ودالة قدر الإمكان على الفكرة التي يطرحها الشاعر، من هنا فمفهوم التناص يدل على وجود نصص أصلي في مجال الأدب أو النقد على علاقة بنصوص أخرى، وأن هذه النصوص قد مارست تأثيرا مباشرا أو غير مباشر على النص الأصلي وقد استخلصت المقومات الرئيسية للتناص، واشتقت مجموعة ممن الدراسات التي وصلت إلى جملة من التعاريف منها":التناص فسيفساء من النصوص الأخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة، وهو تعالق (الدخول في علاقة) نصوص مع نص (حدث) بكيفيات وأساليب مختلفة بقصد معين... [2].

ثالثا – نبذة عن حياة "الأمير عبد القادر الجزائري":

تحتجب شخصية الأمير الحقيقية وراء الأسطورة الوطنية الجزائرية، وهو عبد القادر بن محي الدين الحسني الجزائري، كانت ولادته عام" 1808 م بقرية القيطنة بوهران.[3] وتوفي في في دمشق بتاريخ 26 مارس 1883م "، وتتضح المفارقة في هذا الرجل العظيم من خلال تعدد مواهبه وصفاته، فمن كونه عالما وشاعرا إلى يطل عسكري ورجل دولة، لذا نجد دراسات كثيرة لنشاطه السياسي وكذا لمؤلفاته الباطنية وتعاليمه الصوفية، ويمكن الكشف عن هذين المظهرين في شخصية الأمير عبر النتاج الشعري والديني له، ولا يتطرق الشك أبدا في نشاط الأمير الثقافي، فقد اكتشف أعداءه ومناهضوه في مرحلة المقاومة الجزائرية 1832–1847، أهمية ثقافة الأمير الفلسفية والدينية من حرصه أن يحمل معه مكتبة أيا كانت الظروف.

---

[1] -زيدان يوسف، الشعر الصوفي المعاصر، مجلة فصول، الفصل5، ع1962، ص154.
[2] - محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشعري، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، دط، 1985، ص121.
[3] -صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص43.

وعرف منذ مطلع شبابه بالعلم والنباهة، وهو واحد من بين الذين ساهموا في حركة النهضة العربية، فهو مؤسس الدولة الجزائرية وكان عضوا في مجلس مدينة دمشق ومدرسا للتصوف والتاريخ وعلوم الدين على مدى أكثر من عشرين عاما، ويقال :أن الأمير عبد القادر هو الوريث الشرعي للمتصوف الكبير ابن عربي، ففي نفيه حقق في صورة الإنسان الزاهد من خلال أعماله؛ السياف النبيل المواقف...، "فالكتابة عنده أبلغ من اللسان، "[1]وقد توفي عن عمر ناهز 76 سنة، ودفن بجوار قبر ابن عربي، إلى أن رأت السلطات الجزائرية ضرورة نقل رفاته إلى الجزائر العاصمة بمقبرة العالية واتخذت صورة الأمير رمزا للدولة الجزائرية، فقد كانت توضع على الأوراق النقدية [2].

رابعا– لمحة عن ديوان " الأمير عبد القادر" الشعري (الديوان):

أما عن ديوان الشاعر الفذ، فقد كانت فرنسا السباقة لجمع شعر الأمير في كتاب بعنوان: "الأمير عبد القادر وأنظمته العسكرية "وهو يتكون من ستين صفحة، به أشعار وقوانين عسكرية، هذا وكانت محاولات ابنه محمد باشا في جمع أشعار الأمير[3] في "تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر"، وكذا في" نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر"[4]، ونجد مبادرة أخرى للأستاذ ممدوح حقي في الطبع والنشر فترة الستينات وسماه "ديوان الأمير عبد القادر الجزائري"، وقد حفل بأهم ما يعرف نقديا بأغراض الشعر العربي من قصائد ومقطوعات لكننا نجد فيه نقص لبعض قصائد الشعر الرمزي الصوفي، وهي موجودة في كتابه المسمى "المواقف"، ويبلغ عدد قصائد الديوان ثمانية وسبعون قصيدة، منها التي كتبها في الجزائر ومعظمها يدور حول ؛ الحماس، الفخر، النسب...، ومنها ما كتبها بديار الهجرة والتي كانت أغلبها قصائد هدوء وطمأنينة غلب عليها طابع التشرب من منبع

[1] -محمد بن عمرو الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، دت، ص266.
[2] -رابح لونيسي، الأمير عبد القادر فارس العقيدة والوطن، دار المعرفة، دط، 2004، ص29.
[3] -ناصر الدين سعيد وني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي،دار الغرب الإسلامي، بيروت، دط، 1999، ص603-607.
[4] -محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري، نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر، مطبعة المعارف، مصر، د ط، دت، ص3.

الصوفية، أما التي كتبها بفرنسا فكانت حزينة وكئيبة متوجعة فيها توسلات وتأسف من فرقة الإخوان، وأمل وإيمان بقرب الفرج.

وبهذا فقد كرس الأمير شعره للدين والوطن الأكبر، وللمراسلة مع العلماء وأصحابه، وقد حاول محقق الديوان أن يصنف شعر الأمير إلى أغراض وقسمها إلى: فخر، غزل، مساجلات، مناسبات، تصوف...،[1] والملاحظ على هذه الأغراض أنها تنتمي في معظمها إلى الشعر الديني، وهذا يعكس عقيدة الشاعر وتأثره العميق بكتاب الله عز وجل.

وبتحديدنا للمنهج المناسب للدراسة والتطرق للمصطلحات التي تصب في قالب موضوعنا وتسهل علينا الإحاطة والإلمام بالموضوع بدقة ونظام، كما حاولنا إبراز شخصية الأمير عبد القادر الجزائري وثقافته الدينية التي انعكست في ديوانه الشعري الذي كان معبرا ومصورا بصدق عن تاريخ الأمير البطولي، وهذا في وطنه تحت نير المستعمر، أو في غياهب المنفى خارج الوطن، لكن قبل أن نغوص في الشاعرية الدينية لهذا الشاعر علينا أن نعرف جمالية منطلقها الإسلامي، وكذا إعطاء بعض النماذج المتفرقة التي صورت ذوبان الفكر واللسان العربي في إعجازها البياني.

[1] - الشاعر الأمير عبد القادر، تح: العربي دحو، مطبعة ثالة، ط3، 2007، ص33.